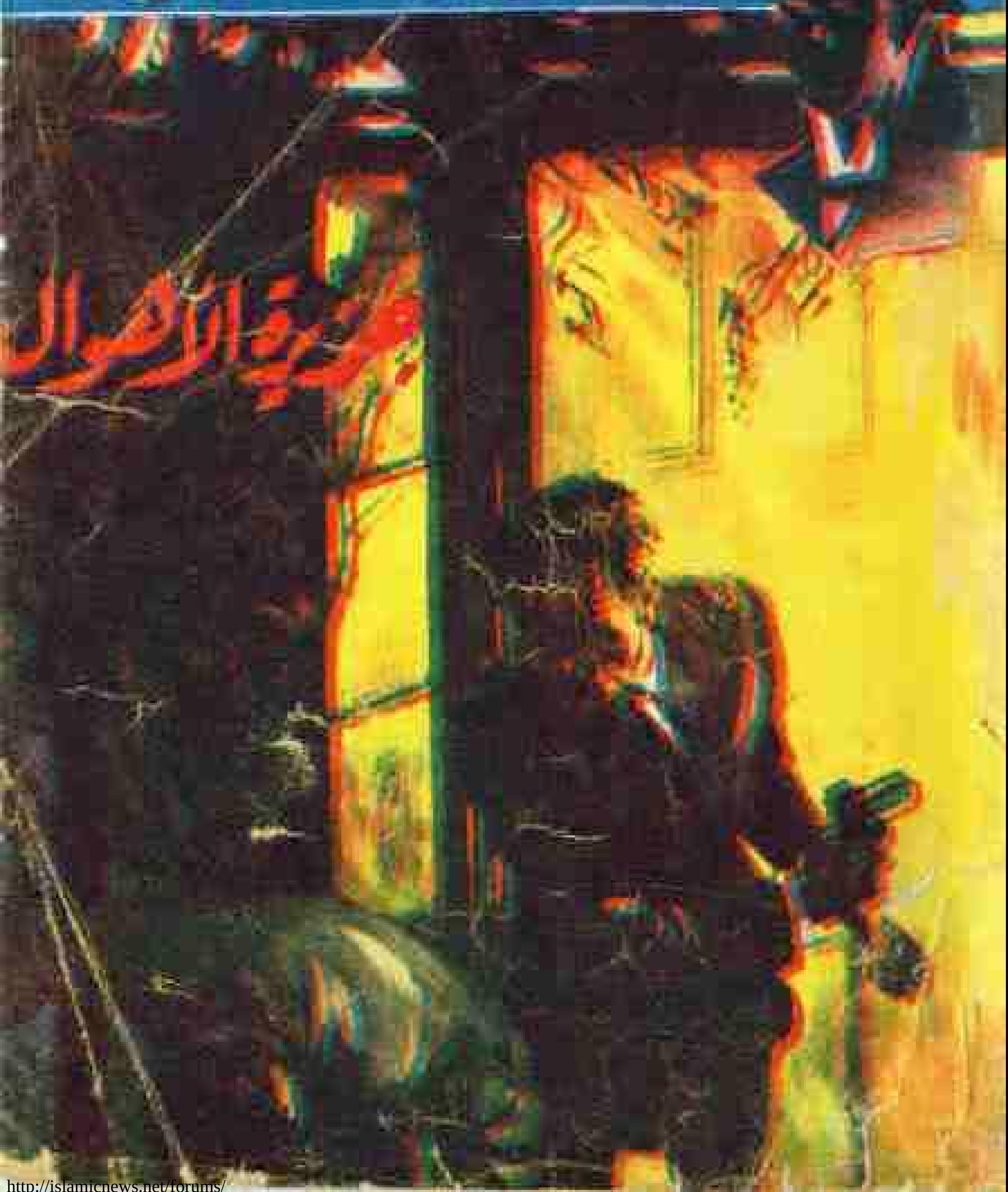
مغامرات

أرسين لوبين



مقـــدمة

قبل منتصف الليل بقليل صعد الريان زنقل كافالاسوس الى سطح السفينة .. وكانت الليلة مظلمة والبحـــر هادئا والجو حارا بحيث وقف الرجـل المشرف على الدفة عارى الرأس والقى الريان نظرة على البوصلة ثم دنا من مساعده وخاطبه قائلا : ـ الجو الليلة جميل باسبيروس !

ـ تماما .. وينبغى أن نصل الى اثينا غدا مساء قبـل الساعة التاسعة ..

واخذ الريان نفسا طويلا من سيجاره الضخم ثم غمـز بعينه قائلا :

ـ نعم .. ينبغى ان نصل الى اثينا غدا قبل التاسعة ..

وكانت لهجته رقيقة ساخرة ، وضحك الضابط المساعد . وهو يونانى ، أسود الشعر فاحمه ، يضع فوق رأسه قلنسوة بيضاء ، ويرتدى سروالا ابيض قذرا ..

اما الريان فكان على النقيض من ذلك ، عملاقا ضخم الجسم ، ذا لحية قصيرة ، يرتدى ثيابا بيضاء نظيفة .

وسار الرجلان حتى حاجـز السفينة فاعتمدا عليـه بمرفقيهما ، ومرت لحظة صمت طويلة قال الريان بعدها :

ـ نحن الآن فى وقت من اصعب الاوقات واحـرجها باسبيروس ، ومن الخطر اجتياز هذه المنطقة من البحار ، اذ أن الايطاليين ينوون الاستيلاء على اديس ابابا . وقد قيل لى ـ ونحن فى الاسكندرية ـ ان المنطقة التى نجتازها الآن موبوءة بالغواصات الايطالية التى تهاجم البواخر الروسية المحملة بالذخيرة وهى فى طريقها الى الاحباش ، فلنضرع الى الله أن لا نلتقى باحدى هذه الغواصات ..

✻ ✻ ✻

وكانت « البالسو » باخرة حمولتها ثلاثة الاف طن ، بنيت فى انجلترا فى عام ١٩١٩ وظلت تنتقل منذ ذلك الحين الى

الآخر من صاحب الى آخر .. ولكنها ظلت تقطع البحار والعلم البريطانى يرفرف على ساريتها دائما .. وكانت فى الوقت الذى تبدأ فيه قصتنا هذه هى الباخرة الوحيدة التى تملكها شركة « ز . ك » باثينا ، وهى شركة صاحباها الاخوان زنلن وزنقل كافالاسوس ، وكان زنقل يتولى قيادة الباخرة ، اما زنلن فقد اقتصر على ادارة مكتب الشركة الذى يقوم فى احد شوارع العاصمة اليونانية ..

وراح الريان يدخن فى صمت وهو معتمد بمرفقيه على حاجز الباخرة ، واخيرا قال مخاطبا مساعده :

ـ الا تسمع شيئا !

فاجابه المساعد بعد هنيهة : كلا ..

ـ اذن فكل شىء على مايرام باسبيروس ..

وهبط الدرجات القلائل المؤدية الى جوف السفينة فى تؤدة ، ثم سار الى مقصورته ولكنه لم يدخلها وانما تعداها الى مقصورة المساعد الثانى حيث دفع الباب ثم دخل وأدار مفتاح الكهرباء ..

كان المساعد الثانى طريحا فوق فراشه وهو بكامل ثيابه .. وكانت سترته البيضاء نظيفة كسترة الريان ، ولم يتحرك الرجل .. لم يكن فيه ما يدل على الحياة غير عينيه ، وهما عينان رماديتان تتبعان حركات كافالاسوس فى جزع وقلق .

وسأله الريان فى قلق : وكيف حالك يامستر جاكسل ؟

وكان المساعد الثانى انجليزيا ولكنه مع ذلك اجاب باليونانية قائلا :

ـ احب ان اعرف ماذا فعلت بى ايها الشقى

فاجاب الريان فى لهجة يشوبها العتاب :

ـ ولكنك تعلم بما حدث لك تماما . لقد حقنتك على الرغم منك ، وقد اضطررت الى استعمال القوة .. هل تشعر بألم ؟

فتأوه جاسكل وأجاب :

ــ انني لا استطيع الحراك .. آواه .. يا الهي .

تمتم الربان : ان مفعول هذه الحقنة لايبقى طويلا .

ــ بل سوف يبقى حتى اغرق بعد قليل عندما تغرقون السفينة .

وهز كافالاسوسي كتفيه وقال في لهجة جدية :

ــ انت رجل غريب الاطوار يامستر جاسكل .. لقد ذهبت منذ ثلاثة شهور الى زميلي في مكتبه .. وكنت اذ ذاك تبحث عن سفينة تجارية يمكنك أن تبحر عليها .. وكانت اوراقك مستوفية لكافة الشروط .. في ظاهرها فقط .. ولكن أخي ليس بالغبي فقد ادرك على الفور انك قدمت اليه اوراقا تخص شخصا آخر غيرك .. ومهما يكن من شيء فقد اشرفت بنفسك فيما بعد بذلك ، ولما كنا في حاجة الى ضابط مساعد وخاصة الى ضابط انجليزي فقد قبلناك .

وسكت هنيهة اخذ يتأمل أثناءها سيجاره الضخم ثم قال : ومن المؤكد انك تعرف مهنتك جيدا ، وقد برهنت على ذلك اثناء مرورنا بشواطىء الاريتريا ، ولو لم تحاول خيانتنا والغدر بنا لمر كل شيء على احسن ما يرام . ولهذا رأيت ان اشل حركتك مؤقتا . فزمجر الضابط الانجليزي قائلا :

ــ أو بمعنى اصح رأيت أن تقتلني .. اذ انني لن اتمكن من النجاة عندما تغرق السفينة ..

فقال الربان في صوت رقيق :

ــ من المعلوم اننا نجتاز منطقة شديدة الخطر ، وانه اذا رأتنا احدى الغواصات الايطالية .. فانني في هذه الحالة سوف أحاول جهدي أن انقذك .. ولكنك تعلم ايضا بلا شك أن السفينة التي تضربها الغواصات تغرق على الفور ..

فتمتم الانجليزي : لقد فهمت .

وغطى على صوته في هذه اللحظة دوي مكتوم هز الباخرة هزا عنيفا .

والتفت الربان الى الباب .. واقتربت خطوات مسرعة من المقصورة ولم يلبث أن فتح الباب ودخل سبيروس قائلا :

ــ لقد اطلقت احدى الغواصات طوربيدا اصاب عنبر الالات ياسيدي الربان ورئيس الميكانيكيين يقول انه لا امل في انقاذ السفينة وانها ستغرق ما بين لحظة واخرى .

فقال الربان :

ــ لا فائدة اذن من ارسال اشارة الاستغاثة اذا كان الامر كما تقول ياسبيروس ، انزل قوارب النجاة الى البحر .. سوف نغادر السفينة .

فصاح جاسكل : انكم القيتم قنبلة في قاع السفينة وتحتم شدادات المياه .

وقال الربان : هلم بنا ياسبيروس .. لافائدة من اضاعة الوقت .

ثم تحول الى الانجليزي وقال له في هدوء :

ــ لقد ضربتنا غواصة ايطالية كما سمعت ، وسأرسل اليك بعض الرجال لينقلوك الى قوارب النجاة .. اذا وجدنا متسعا من الوقت .

وخرج تاركا الباب مفتوحا خلفه .

والفى سبيروس واقفا فوق سطح السفينة والبحارة منهمكين في انزال قوارب النجاة فسأله قائلا :

ــ هل كل شيء على ما يرام ؟

ــ أجل يا سيدي ، ولكن اليس من الاوفق ان نطفيء الانوار ؟

فأومأ كافالاسوس برأسه وقال :

ــ نعم ، فان السفينة ستبقى فوق الموج ثلاث او اربع ساعات ، ولا ينبغي ان نثير اهتمام الفضوليين .

فسأله سبيروس : والمساعد الثاني ؟

ــ يؤسفني انني لا استطيع ان افعل شيئا لاجله .

وقهقه كافالاسوس طويلاً ثم اشعل سيجاراً آخر .
وظل يدخن في هدوء وفي غير مبالاة وهو يحتل مكانه مطمئناً في احد ترابيزات النجاة .

الفصل الاول ــ الفرار

في صباح ذلك اليوم كان الحارس تورجلر يشرف على تمرينات السجناء وصاح يقول :

ــ سكوت ! .. اسرع بعدها .. وانت يانولان .. ابق مكانك .. الا تسمع ؟ اذا اصررت على عنادك فسابعث بك الى القبو ..

و « القبو » هو الاسم الذى يطلقونه على زنزانات التأديب

وراح الحارس بصوته الخشن يعنف السجناء ويرغمهم على اعادة تمريناتهم في البرد القارس .

وكان تورجلر يبدو عملاقاً ضخم الكتفين في سترته الزرقاء القاتمة ، ولكنه كان خفيف الحركة كالملاكمين ، وكان يعرف ان السجناء يبغضونه كل البغض ، وكثيراً ما حذره زملاؤه من عاقبة فظاظته وخشونته . وكان هو نفسه يقدر ان احدهم سيثور عليه ذات يوم بلاشك ، ولكنه كان جد واثق من قوته اذ كان بطلاً في الملاكمة في جيش الهند حيث قضى فيه مدة قبل أن يعين حارساً في السجن ، وكان جريئاً لا يخشى الاشتراك في اية معركة . واذ كان السجناء يكرهونه فانه كان يبادلهم الكراهية والبغض .

وعاد يصيح : ماهذا يانولان ؟ انك متخلف عن زملائك في الحركة يابنى ..

ولم يقل نولان شيئاً مسموعاً ، ولكنه تمتم ببعض عبارات السباب والشتائم فقد كان تورجلر يخصه منذ اسابيع بتهكمه المرير وسخريته اللاذعة . وكان نولان يعرف السبب فقد حدث ان اختلف مرة مع سجين من القريبين الى تورجلر وسدد اليه لكمة حطمت انفه وارغمته على ملازمة مستشفى السجن مدة طويلة ، وقد قضى نولان شهراً في « القبو » عقاباً

له على ذلك ولكنه لم يندم على ما فعل .

ومنذ غادر « القبو » وتورجلر لا يدعه يستريح لحظة واحدة ، ولم يكن نولان يخشى هو الآخر الاشتراك في معركة ، فقد قضى حياته عاملاً في حوض ليفربول وكان لا يمر به يوم من غير عراك ..

ــ هيا يانولان .. هذه آخر مرة اندرك فيها ..

احس الجميع باقتراب العاصفة . وكان باقي الحراس قد انذروا تورجلر ونصحه اكثر من سجين ، والا فسوف يجر على نفسه المتاعب ، حتى مدير السجن نفسه نصحه بان يغير من مسلكه .ولكن تورجلر استمر في استفزازه قائلاً :

ــ ما هذا يا نولان ؟

ومر كل شيء بسرعة البرق الخاطف فقد انقض نولان كالقنبلة على الحارس ، وترنح العملاق وضرب الهواء بيديه محاولاً الاحتفاظ بتوازنه . ولكن نولان ركله في بطنه بقوة جعلته يتلوى ثم عاجله بلكمة في وجهه وقع على اثرها وتدحرج على الارض . ولم يتركه نولان بعد ذلك بل انحنى فوقه واطبق بيديه على عنقه في وحشية .

وكان السجناء يشاهدون كل ذلك وقد تسمروا في اماكنهم لفرط ما اعتراهم من الدهشة والذعر ، ولكن لم يلبث ان تقدم واحد من اصدقاء تورجلر معللاً النفس بأن يخفف مدة عقوبته والقبض على نولان وهو يصيح . ولكن هذا الآخر عاجله بحركة من قدمه جعله يفقد توازنه ويهوى على الارض .

وكانما كان الرجلان ينتظرون هذه الاشارة اذا انقضوا كلهم مرة واحدة واشتركوا في المعركة ..

ولم ير احد منهم ذلك الرجل الطويل القامة الذى وقف برهة واحدة لا يتحرك ثم دار على عقبيه واختفى راكضاً خلف مبنى من المباني التي اضيفت الى سجن بولدرمور الى جانب البناية الاصلية . وقد انقسمت هذه المباني بحيث جزأت فناء السجن الى بضع ساحات صغيرة غير متناسقة .

وعندما وقع تورجلر وجثم تولان فوقه كان ذلك في الفناء الصغير المثلث الشكل الذي يفصل بين البنايتين رقم ١ ، ب ، ولم يكن في استطاعة احد غير الثلاثين سجينا الذين يشرف تورجلر على تدريبهم ان يرى شيئا مما حدث مع انه كان يكفي ان ينفخ في صفارته فيهرع زملاؤه الى نجدته ..

ولكن المفاجأة لم تمكنه من استعمال صفارته ، فيما عدا الصيحة التي اطلقها الرجل الذي حاول انقاذه فقد راح السجناء يتعاركون في صمت تام .

كان بعضهم قد لاقى من عنت تورجلر وطغيانه الكثير .. وكانوا يحقدون عليه وعلى المقربين اليه ورأوها فرصة سانحة للانتقام ..

ولم يكن السجين رقم ٨ ــ ٦٧ ليشتهي غير ذلك .. فاسرع يدور خلف البناية رقم ١ ، ثم وقف ملتصقا بالحائط ، وكانت هناك بقعة فضاء طولها نحو عشرة امتار تفصل بين آخر البناية وبين السور العالي الذي اقيم حول السجن .

ونظر الهارب الى الباب الحديدي الذي يتوسط السور ثم اجتاز المسافة التي تفصله عنه ركضا واسرع يحتمي في الظل

ووقف لحظة اخرى ريثما يسترد انفاسه ، وفجأة سطع نور من الدور الارضي البناية رقم ١ فكشف عن نافذة رأى السجين من خلالها رئيس الحراس يسير الى مكتبه .

واخذ السجين يتقدم لصق الحائط وعيناه لا تفارقان النافذة المضاءة .. وبلغ سلم الحبال في نفس اللحظة التي بدأ الشك فيها يساوره ويعجب اذ كان « الرجل ذو المفتاح » قد وفى بوعده .. وراح السجين رقم ٨ ــ ٦٧ يصعد السلم في حذر ..

وفي الفناء بين البنايتين رقم ١ . ورقم ب كان تورجلر يناضل في سبيل حياته .. واستطاع اخيرا ان يتخلص من قبضة تولان فثنى ركبته ودفعها بقوة في بطن غريمه فالقاه بعيدا ثم اخرج مطرقته وهوى بها على رأسه فافقده الرشد.

واخرج صفارته على الفور ورفعها الى شفتيه المشقوقتين الداميتين وارسل منها صفيرا حادا متتابعا بينما راح يعمل مطرقته في بقية السجناء .

واسرع اليه احد الحراس ومطرقته في يده ، وفي اقل من دقيقة كان الحارسان قد اعادا النظام بين السجناء واوقفاهم في صف منتظم ، واسفرت المعركة عن اربعة صرعى كان تولان احدهم .

والعادة المتبعة في السجن ان يعد الحارس مساجينه عقب اي حادث مهما كان نوعه وقد وقف تورجلر يعدهم وهو يصيح : ... ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ..

وراح السجناء ينظرون اليه في ذهول وهو يباشر مهمته .. واقبل في هذه اللحظة رئيس الحراس بصحبته حارسان آخران . ووقف تورجلر لحظة غير مصدق .. ثم اخذ يعد المساجين من جديد .. وتحول اخيرا الى رئيس الحراس وهو يصيح : لقد اختفى احدهم ..

وبدت في عيني الرئيس الشدة والصرامة ، وفي صوت خشن اصدر امرا اسرع احد الحارسين الى تنفيذه ..

وعاد تورجلر يقول في انفعال :

ــ هو السجين رقم ٨ ــ ٦٧ ، مالكولم جيز .

ودوى جرس السجن .. وبدأت المطاردة ! .

الفصل الثاني ــ علامة المفتاح

يقع سجن بولدرمور المشهور باسم « جزيرة الاهوال » في بقعة جرداء معزولة تعرف باسم وادي سالسبوري ويمتد خلفه مرج تعلوه اعشاب قصيرة متباعدة .. وينتهي بسلسلة من اشجار البلوط .. ولما كانت نوافذ مستشفى السجن هي الوحيدة التي تطل على هذا المرج فكثيرا ما وقف بعض السجناء اثناء اقامتهم في المستشفى امام هذه النوافذ يشاهدون الطائرات وهي تهبط في مطار سالسبوري الحربي

وخيل لمالكولم جيز ان امامه اكثر من مرحلتين لكي يصل

الى الغابة الصغيرة التي يقع خلفها المطار . ولم يكن قد قطع غير مائتي متر عندما دوى جرس السجن فادرك ان المطاردة قد بدأت . ونظر خلفه وهو يجري ولكنه لم ير احدا .

كان الحظ قد حالفه حتى هذه اللحظة . والحق ان الرجل ذا المفتاح قد دبر الامر بدقة فائقة . وكان كلما اقترب من غابة السلوط دقق النظر لعله يرى الشخص المرتقب . وفجأة سمع صفيرا خافتا صادرا عن يساره : خلال الظلام ، فاتجه نحوه .. وان هي الا خطوات حتى القى نفسه داخل الغابة ثم وقف وهو يلهث . وخرج من الظلام رجل متدثر في معطف يغطي رأسه بقبعة وقال يسأله : هل انت جيمز ؟

فأومأ السجين برأسه وقال : نعم . اتبعني اذن .

والقى الرجل يده المغطاة بالقفاز على كتفي جيمز ودفعه الى الامام . وما هي الا لحظة حتى قطعا الغابة وخرجا الى السهل المنبسط . وقال الرجل وهو يشير اليه :

ـ هذا هو مطار سالسبوري الحربي .. وهذه هي طائرتنا .

وابصر جيمز على بعد مائتي متر طيارة صغيرة مطفأة الانوار يبدو هيكلها من خلال الضباب .

وضحك السجين الهارب في انفعال . ولكن قبل ان يبلغ الطائرة هو وزميله طرق سمعهما موتوسيكل . ثم سطع ضوء مصباحه الامامي يبدد حجب الضباب .

كان الموتوسيكل ذا سلة جانبية رأى فيها جيمز ضابطين من ضباط الطيران الحربي .

وصاح زميل جيمز يقول : لنسرع بالهرب .

واخذ الرجلان يركضان باقصى سرعتهما فبلغا الطائرة في نفس اللحظة التي وقف فيها الموتوسيكل على بعد عشرين مترا منها .

واسرع جيمز الى داخل الطائرة . وما كاد يفعل حتى دوى المحرك على الفور . ورأى قائد الطائرة جالسا في مكانه

لا يظهر منه غير رأسه وكتفيه .

ووقف زميل جيمز بباب الطائرة واخرج مسدسه . ورأى السجين الهارب شعلتين من النار وسمع طلقتين ضاع صوتهما بين ازيز المحرك .

واسايت الطائرة .. ومن خلال النافذة رأى السجين رقم ٨ — ٦٧ الضابطين يترجلان من الموتوسيكل ويجريان في خط متعرج نحو الطائرة ولكن قبل ان يبلغاها كانت سرعتها قد زادت ولم تلبث ان ارتفعت في الجو .

واغلق الرجل الذي اطلق الرصاص الباب وتهالك بجانب مالكولم جيمز الذي رأى من خلال النافذة الطائرة ترتفع وتشق الضباب .

وتنهد بارتياح .. والتفت الى زميله ، واذا بضربة شديدة تصيب رأسه وتفقده الرشد ..

وبينما كان زميل جيمز يعيد المسدس الى جيبه التفت اليه قائد الطائرة فقال له :

ـ هذا فن .. ستيمتر واحد فوق الاذن اليسرى فيفقد وعيه على الفور .

وانثنى بعد ذلك الى السجين الهارب وقيد قدميه ويديه ثم وضع على عينيه عصابة ..

* * *

صاح الماجور مالنج مدير سجن بولدرمور في صوت حاد قاطع :

ـ انت موقوف عن عملك يا تورجلر .. اذهب الى الدكتور ودعه يضمد لك جراحك ، وبعد ذلك عد الى بيتك .

خرج تورجلر وهو يزمجر . وبعد هنيهة دخل رئيس الحراس فسأله المدير :

ـ ما اخبارك ؟ لقد تمكن من الافلات ..

وما هي الا لحظة حتى كان الضابطان امام المدير .. وادى الرجلان التحية العسكرية . فابتسم الماجور مالنج لاحدهما

وسأله: انت الملازم كاتلي .. أليس كذلك ؟

ـ نعم يا سيدى الماجور . وقد رأيت ان آتى شخصيا لاخبرك بما شاهدت .. لقد دق الجرس انذارا بأن سجينا قد هرب ؛ أليس كذلك ؟ اخشى أن يكون قد افلت منكم الى الابد . الواقع انى سمعت أزيز طائرة .

ـ هذا صحيح .. ولكن متى هرب ؟

ـ بعد الرابعة بعشر دقائق ..

ـ ليس هناك شك اذن .. فقد كنت اقوم بالحراسة فى المطار فى الساعة الرابعة .. وكان الضباب منتشرا والضوء غير واضح ؛ وخيل الى انى اسمع صوت طائرة ، ولكن لم تصدر منها اية اشارة .. وحسبت أن جهازها اللاسلكى اصابه عطب ؛ وانها اضطرت الى الهبوط فى المطار فاسرعت اليه فى الموتوسيكل لأرى ما هنالك .. وعندما اقتربنا من الغابة لمحنا الطائرة . ومر السجين امامنا وهو يجرى . وعندئذ فقط ادركت جلية الامر . ولكنه لم يكن بمفرده بل كان يرافقه رجل آخر طويل القامة .. وقد حاولت القبض عليهما ولكنى لم استطع اذ اطلق علينا الرصاص .

ـ ايمكنك ان تصف الطائرة ؟

ـ اجل .. هى صغيرة من نوع ميراندا واسب . لم استطع تمييزها جيدا اذ ارتفعت فى الجو بسرعة .

ثم ابتسم الضابط وقال : اخشى أن تكون معلوماتى لا قيمة لها ولكن هل يمكننى أن أسأل من هو السجين الهارب؟

وتردد مدير السجن لحظة ، ولكنه لم يلبث أن قال :

ـ ولم لا ؟ .. ان الجرائد سوف تذكر ذلك .. انه السجين رقم ٨ ـ ٦٧ ؛ مالكولم جيز .

ـ غريم مدام هالو ؟ .. أكان فى هذا السجن منذ وقت طويل ؟

ـ لقد قضى ثمانية اسابيع فى سجن بريكستون الاحتياطى وستة شهور فى وائد سوورث بعد صدور الحكم عليه ، ونقل

الى هنا منذ ثلاثة اسابيع ليقضى بقية المدة المحكوم عليه بها ، وهى تسع سنين ونصف .

وارسل الضابط من بين شفتيه صفيرا خافتا يدل على العجب ثم قال :

ـ انى لاعجب اذا لم يكن هذا العمل من تدبير الرجل ذى المفتاح ! واصفر لون المدير وصاح :

ـ ذو المفتاح ؟ وهل تصدق هذه الخرافات التى ابتدعها خيال الصحفيين ؟

ـ ولكن الجرائد تؤكد ان السجين الذى هرب من سجن باكهورست منذ ثلاثة اسابيع انما هرب بتدبير ذى المفتاح .

ـ ذو المفتاح ! .. أؤكد لك انها خرافة ابتدعها صحافى خصب الخيال .

وامسك المدير اذ سمع طرقة على الباب . واسرع رئيس الحراس ففتحه . وعاد بعد لحظة الى المدير وفى يده ورقة وقال :

ـ لقد عثر هاربر على هذه الورقة فى الغابة مثبتة الى شجرة بواسطة دبوس .

والقى الورقة على المكتب .. كانت ورقة عادية يدل شكلها على انها انتزعت من مفكرة رخيصة . وما كاد المدير يراها حتى زاد اصفراره .

ذلك انه رأى فيها مفتاحا كبيرا مرسوما بقلم من الفحم .

الفصل الثالث ـ مالكولم جيز

بلغ جالد توبرجلو باب السجن واطل برأسه الضخم من كوة الباب لكى يفتح الحارس له . ونظر اليه هارى داوكز ؛ وهو رجل متقدم السن وظيفته قيد اسماء الوافدين والخارجين من السجن فى سجل كبير ؛ وقال له وهو يضحك :

ـ اذن فقد ظفروا بك اخيرا ياصاحبى . .لقد كنت اتوقع هذا منذ وقت طويل كما تعلم . ومن حسن حظك ان زوجتك غائبة الآن .

وغمغم نورجلر بضع كلمات مبهمة في صوت غاضب .. ولكن الآخر لم يعبأ به واكتفى بأن ألقى اليه تحية المساء في أدب ثم فتح له الباب وتركه يخرج . وانثنى بعد ذلك الى سجله ليقيد به اسمه .. وكانت وظيفة هارى تتطلب أمانة كبيرة لأنه كان معهودا اليه فوق السجل المذكور جميع مفاتيح السجن .

وأقبل رئيس الحراس بينما كان هارى يدون في السجل ساعة انصراف جالك نورجلر وقال له : أعطنى مفاتيح غرف المراقبة .

ففتح الكهل الخزانة وأخذ منها بضعة مفاتيح ناولها الرئيس وهو يقول :

ــ ها هي يا سيدى الرئيس .. هل لك ان توقع هنا ؟

ــ شكراً يا هارى .. وأرجو أن تفتح عينك جيداً .. سينصرف الضابطان بعد خمس دقائق .. وبهذه المناسبة هل هو نورجلر الذى انصرف الآن ؟

ــ نعم يا سيدى الرئيس .. لك ان تطمئن

وفي اللحظة نفسها كان نورجلر يسير في طريقه الى القرية وهو يفكر في سجل هارى ويسائل نفسه الأم يدون هذا الأخير اسمه فيه ؟

وكانت الليلة معتمة ، ويزيدها سوءا تساقط رذاذ خفيف . وعلى الرغم من ذلك فقد راح نورجلر يتقدم في خطوات نشطة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة . وكان مستغرقا في افكاره فلم يفطن الى الرجل الجاثم في ناحية من الطريق حين أسرع ينهض في خفة ويتبعه على بعد خمسين خطوة .

وتابع نورجلر طريقه دون أن يشعر بأن هناك من يتبعه . وطفق يسائل نفسه ترى ابن السجن رقم ٨ ــ ٦٧ الآن ؟ وما هي الاجراءات التى اتبعها مدير السجن للتحقق وبالأخص ماذا تفعل كلير في لندن الآن ؟

وكلير هذه هي زوجته ولكنها ليست على غرار غيرها من زوجات الحراس .. فقد كانت صغيرة السن ، جميلة ، ذات شعر ذهبى ساحر ، وشفتين حمراوين شرهتين ، وعينين يبدو فيهما التحدى والاستفزاز ، انيقة الهندام ، ذكية ، لعوب . عرفت كيف تستأثر بنورجلر وتجعله عبدا خاضعا لها ولرغباتها .

وكان نورجلر واثقا تماما بأنها ستعرف كيف تنهى تلك المسألة التى اضطرتها الى السفر الى لندن على احسن وجه ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يكن يحب ان يتخيلها بمفردها في شوارع العاصمة الانجليزية ، فهو يعرفها حق المعرفة ، ويغار عليها .

*

وازداد المطر تدفقا فرفع ياقة معطفه وتابع طريقه .

وكانت مساكن حراس السجن تقع في مدخل القرية وكلها مبنية على نمط واحد .

وهى بسيطة المظهر ولكن اجتمعت فيها كل وسائل الراحة ، وتحيط بكل منها حديقة صغيرة . وكانت انوار الكهرباء في تلك الليلة تسطع في جميع نوافذها فيما عدا نافذة المسكن الأول الى توجه نورجلر اليه فدفع الحاجز واجتاز الممر الطويل ثم فتح الباب .

وأدار مفتاح الكهرباء ، وقصد توا الى غرفة الطعام . ومن غير أن يهتم بسدل الستار فوق النافذة صب لنفسه قدحا من الويسكى والصودا .. وبعد ان جرعه أطفأ النور وخرج من باب المطبخ واجتاز الحديقة الصغيرة وأدار المفتاح في قفل الكشك الصغير الذى يحتفظ فيه بأدواته .

وقبل ان يدخل نظر* حوله مستطلعا فاحصا فألفى كل شيء هادئا وكان النور يسطع في نوافذ جيرانه الذين سيتناول عشاءه معهم بعد قليل . واذ لم ير شيئا مريبا يدعو الى الارتياب ولف داخل الكشك .

وكان قد زود الكشك بنور الكهرباء منذ وقت ليس

بالقصير ، فادار المفتاح ونظر الى الستار فالفاه مسدولا . ولكنه لم يفطن الى الشق الصغير الذي يتوسطه ولا الى العين التي راحت تتبع حركاته من الخارج في اهتمام كبير .

وكانت ارضية الكشك مكسوة بالاسفلت ، تعلوها طبقة خفيفة من نشارة الخشب ؛ وتحت النافذة اريكة تقوم على ثلاث قوائم ضخمة على هيئة المثلث . وكان يبدو ان القائمة المتوسطة قد عولجت بحيث تترك فراغا اذا ما رفعت من مكانها . وقلب تورجلر الاريكة وخلع القائمة المذكورة ، ثم جثا على ركبتيه وادخل يده في التجويف ثم اخرجها برزمة صغيرة ملفوفة في قطعة من القماش .

ولم تفلت العين التي تراقبه خلف الستار حركة واحدة من حركاته فقد رأته يفك الرزمة ويضيف اليها بضع أوراق ثم يربطها ثانية في عناية ويعيدها الى مكانها داخل التجويف . وبعد بضع دقائق كانت القائمة والاريكة قد اعيدتا الى مكانيهما، اما النشارة والغبار فقد ازيلا في عناية تامة وبذلك اختفى كل اثر لما فعله تورجلر اخيرا .

واطفأ الحارس النور وهو يتبسم ثم خرج ، وبعد ان اوصد الباب بالمفتاح ثبت قبعته فوق رأسه ثم قفل عائدا من حيث اتى .

وعندما بلغ باب جراله لم يعد يفكر الا في لذة الطعام المرتقب .

ولو انه فعل لما رأى شيئا .. فان الرجل الذي كان يتبعه كان قد سار رأسا الى الكشك ، طفق يعالج بابه في صمت وحذر حتى لان له القفل وفتح .

* * *

وفي السجن كان الضابطان الطياران قد انصرفا . وعاد رئيس الحراس الى مكتب المدير الذي كان يتحدث في التليفون فاشار اليه بيده ان يبقى واستطرد حديثه قائلا :

ـ نعم يا سيدي القومسير .. لقد مر كل شيء على

ما يرام .. ولم يشتبه في شيء .. ماذا ؟ .. نعم ، انت على حق .. انا ؟ كلا ايها القومسير لا احب ان اجد نفسي في مكانه حتى ولو اعطيت مال قارون .

وانتفى لحظة ثم سأل : اذن فستتولى انت اذاعة النبأ في الصحف ؟ ..

واعاد السماعة الى مكانها ، وعندئذ تقدم رئيس الحراس وقال له :

ـ وها هي مفاتيح غرف المراقبة يا سيدي ..

ـ حسنا .. ضعها هنا .. هل انصرف تورجلر ؟

ـ نعم يا سيدي المدير ..

والتقت نظراتهما .. وقال المدير وهو ينهض :

ـ لنذهب اذن ولنر ما حدث له ..

وغادر الرجلان غرفة المكتب وتوجها الى السجون المنعزلة بالمبنى الرئيسي حيث يخضع جميع المساجين لمراقبة خاصة . واجتازا بابا حديديا ، وكان هناك باب آخر يفصل بينهما وبين الدرج ففتحه المدير والفى نفسه امام ست غرف ، ثلاث في كل ناحية .. وكان النور ينبعث من واحدة منها فقط .

واطل المدير من الكوة الى الداخل ثم دخل يتبعه رئيس الحراس ..

وكان السجين جالسا يطالع فرفع عينيه عندما دخلا ولكنه لم يتحرك .. وكان طويل القامة ، شاحب الوجه ذا انف معقوف وعينين عسليتين ؛ وكان اشقر الشعر فوق ذقنه ندبة بيضاء من اثر جرح قديم تحمل سترته المخططة رقم ٨ ـ ٦٧ .

وقال : لي طلب بسيط ايها المدير .. ما هو يا جبر ؟

ـ اريد أن تغير موضع المصباح الكهربائي لان موضعه الحالي غير مناسب اذ يتعين علي لكي اقرأ أن اظل منحنيا طوال الوقت حتى لا يضعف نظري ؛ ثم انه ليس من المستطاع ان اقرأ وانا راقد في فراشي ..

— لا تنس انك فى السجن فلا تكن كثير الكلام ..
— ظننت انك كنت تلومنى لقلة كلامى ..
— سامنحك يا جيز لآخر مرة فرصة لتخفيف مدة عقوبتك .. عندما كنت فى السجن الاحتياطى ببريكستون حدثت امور كثيرة جعلتنا نعتقد أن هناك من استطاع الاتصال بك من الخارج لكى يساعدك على الفرار ، وبعد صدور الحكم عليك نقلت الى سجن واندسوورن ، وهناك لم نستطع ان نكتشف شيئا .
— نعم . . وذلك على الرغم من اعتقادك أن هناك من يهتم بامرى .. وقد قلت لك مرارا انك مخطىء ..
فقال المدير وهو يزن كلماته :
— اؤكد لك أن موقفك يتحسن كثيرا لو انك ادليت باعتراف كامل بشأن ذلك الرجل .
— قلت لك اكثر من مرة ان هذا الرجل لا وجود له الا فى مخيلتك أنت ، ولو انه كان موجودا حقا لما وشيت به فأنت تعلم جيدا انى لست من الواشين ..
— على رسلك اذن ، ولكن يجب ان تعلم انه عندما نقلت من سجن واندسوورن منذ ثلاثة أسابيع كان هناك مالكولم جيز آخر يسافر فى نفس القطار وهو مرتد ثياب السجن وقد نقلناه علنا فى الفرفة رقم ٨ بالبناية رقم ب بينما اخفيناك انت هنا .. ولم يعرف أحد أن هناك سجينين يحملان رقما واحدا هو ٨ — ٦٧ وان مالكولم جيز المزعوم ماهو الا بوليس سرى .
فابتسم السجين وقال : لن يؤدى هذا الى شىء .
ولكنه نظر فى فضول الى الورقة التى بسطها المدير مرسوما عليها مفتاح كبير بقلم من الفحم وما كاد يدرك جلية الامر حتى هب واقفا وصاح : من اين لك هذه الورقة ؟
— لقد تركها لنا كتذكار الرجل الذى افلح فى تهريب البوليس السرى الذى اتخذ مكانك . وهذا المفتاح كما لعلك تعلم هو العلامة التى اصطلحت عليها الصحف .

وطوى المدير الورقة فى هدوء ثم قال :
— ان هذا الرجل داهية حقا ، ولكنى لو كنت مكانك لانتهزت الفرصة وأدليت بكل ما اعرف عنه فان ساعاته اصبحت معدودة . ولكن السجين ابتسم وقال :
— أنت واهم يا سيدى المدير .. لعل ساعات مالكولم جيز المزعوم الذى تتحدث عنه هى التى اصبحت معدودة .

الفصل الرابع — البوليس الاعمى

عندما ثاب السجين رقم ٨ — ٦٧ المزعوم الى رشده كانت الطائرة لا تزال تحلق فى الجو . وكان اول ما احس به طنينا شديدا فى اذنيه ثم شعر بعد ذلك بحركة الطائرة .
وعادت اليه ذاكرته شيئا فشيئا واستعاد اللحظات الاخيرة التى سبقت فراره . ومع انه لم يكن يقوم الا بدور مرسوم فقد استولى عليه الانفعال كما لو كان هاربا من السجن حقا .. تورجلر .. والمعركة .. وتسلق الحائط .. والفرار .. ثم الطائرة .. فالضربة المفاجئة التى أفقدته الرشد ..
وأثار حيرته شىء عجيب .. فمع انه كان يسمع ويحس الا انه لم يستطع ان يرى .. واحس انه جالس وان راسه مائل فوق صدره ، وشعر بالم حاد فوق اذنه اليسرى .
وكان يتوقع أن يرى الطيار وهو يقود الطائرة .. ولكن لم يكن يطالعه غير الظلام الحالك وادرك اخيرا انه معصوب العينين .
وتتابعت الاسئلة على ذهنه .. لماذا ضربوه ؟ ولماذا عصبوا عينيه ؟ هل اشتبهوا فى أمره ؟
وبحركة لا ارادية رفع يده الى العصابة التى فوق عينيه فارتفعت معها يده الاخرى فادرك انه موثق اليدين ايضا .
واحس بيد مغطاة بقفاز تلمس يديه وتعيدهما الى ركبتيه وسمع صوتا يقول :
— اذن فقد صحوت ؟ لا تخف يا جيز فهناك من يهتم بأمرك ، واذا كنا قد عصبنا عينيك وأوثقنا يديك فهذا تبعا

لاوامر ذى المفتاح وذلك لمجرد الحيطة فقط اذ انه من الاوفق ان لا تعرف اين نذهب بك .. وسوف نسلمك سليما معافى كما هى الشروط المتبادلة ، واذا قبض عليك بعد ذلك فهذا ليس من شأننا . ويؤسفنى انى اضطررت الى ضربك فى شىء من العنف ولكن كان لابد من ذلك والا ما كان يتسنى لنا ان نعصب عينيك ونوثق يديك .. كيف حالك الان ؟

فأجاب مالوكولم جيز المزعوم : لا بأس .

ولكنه كان يشعر بارتياح كبير لان امره لم ينكشف بعد.

واحس بقنينة صغيرة توضع بين يديه فتمتم :

ـ شكرا لك .. هل هى مفتوحة ؟

ـ نعم . ويمكنك ان تأخذ جرعتين او ثلاثا .

فرفع القنينة الى شفتيه وشرب . واحس بالدفء يسرى فى جسمه ، وقال له الرجل الجالس الى جواره وازيز الطائرة يكاد يحجب صوته :

ـ هذا عمل رائع يا جيز .. ويمكنك ان تشكر ذا المفتاح اذ هيأ لك امر فرارك ولا ريب انك تعرف المثل القائل : « فى كل سجن يوجد حارس لا يتأخر عن بيع نفسه ويكفى أن تنقده الثمن » وذو المفتاح يعرف جميع الحراس . وفى بولدرمور كان الحارس هو جاك تورجلر .. وهو رجل لئيم خبيث لا يخاف ولا يرهب احدا .

ـ لقد كان ذو المفتاح يصدر اليه اوامره وكان عليه ان ينفذها .

ـ أهو ذو المفتاح الذى فكر فى استخدام بات نولان ؟

ـ طبعا . وان كان بات لم يشك فى الامر قط . كان على تورجلر أن يستفزه طوال الوقت بعد الظهر وان يدفعه الى اتيان كل الحماقات قبل نهاية التمرين بربع ساعة ولما كان نصف المساجين من محاسيبه والنصف الاخر من اعدائه الحاقدين فقد كان هناك أمل كبير فى نشوب المعركة . وهذا هو ما حدث .

ـ وكانت المعركة السبب فى فرارى . لقد اخبرنى تورجلر فى صباح اليوم عن الوقت الذى ستحدث فيه المعركه بالتقريب . وانى لاعجب لبراعته .

وكان هذا حقا فقد قام تورجلر بدوره خير قيام .

وعاد رجل البوليس المتنكر يقول : وسلم الحبال .. من الذى وضعه ؟

ومرت لحظة طويلة لم يسمع فيها غير صوت المحرك .

واخيرا اجاب الرجل :

ـ لا ينبغى ان تبدى كل هذا الفضول يا عزيزى جيز فان فى الفضول خطرا .

وكانت لهجة الرجل وحدها بمثابة انذار له . فضحك جيز المزعوم ضحكة قصيرة ثم قال :

ـ اننى اصبحت بعيدا عن الخطر وهذا هو كل مايهمنى. ولكنى اريد ان أعرف من هو ذو المفتاح ؟ .. ولماذا يتجشم كل هذا العناء لتهريب المساجين ؟ ..

ـ هذا صحيح ! .. ولو كنت مكانك لما كنت أقل منك حيرة وعجبا . ولكن اذا كنت تتمسك بالحياة فلا تحاول أن تعرف المزيد . ومهما يكن ففى مقدورى أن اقول لك لماذا يهتم ذو المفتاح بتهريب المساجين .. انه يتجشم كل هذا العناء لانه يعود عليه بربح وفير لانه لا يهرب الا الذين يستطيعون الدفع ، والدفع بسخاء . وهو عمل مربح لا يمكن أن ينافسه فيه أحد لانه شديد الخطر .

فسكت البوليس السرى .. لقد عرف الان اكثر مما كان يرجو .. ولكنه كان لا يزال يسائل نفسه عن الاتفاق الذى عقده ذو المفتاح مع مالكولم جيز الحقيقى وماذا يكون من اثر هذا الاتفاق فى موقفه ، وكان يود أن يعرف أيضا كم من الوقت ظل مغمى عليه ، ومنذ متى والطائرة تحلق فى الجو ، وهل هى لا تزال تطير فوق انجلترا ؟

وحاول ان يقوم بعملية حسابية يستطيع بها معرفة

الوقت المحتمل الذى قطعته الرحلة ولكنه لم يلبث ان عدل عن محاولته اذ لم يعرف على اى اساس يقوم حسابه .

وسمع رفيقه ينهض من مكانه ويتشاور مع الطيار فى صوت خافت فحاول ان يتخلص من وثاقه ولكنه لم يفلح اذ كان متينا . وود لو يستطيع أن يزيح المنديل الذى يخفى عينيه ولكنه لم يجرؤ خشية أن يرى محاولته احد .

وعاد رفيقه نحوه وخاطبه قائلا : انهض ياجيز .

ولما اطاعه البوليس السرى القى الرجل على كتفيه معطفا وعلى راسه قبعة وقال له :

ـ انحن قليلا عند هبوطك من الطائرة حتى يظن الناس انك اعمى عندما يرونك هكذا معصوب العينين .

ولم تلبث الطائرة ان هبطت بهم . ولم يدر أين هبطت ولا فى أى وقت كان ذلك . بل لم يدر ان كان الوقت ليلا ام نهارا . واحس بالعجلات تلمس الارض .

وقال له رفيقه وهو يضع المعطف على كتفيه :

ـ احرص على ان لا يقع المعطف منك ، وعلى ان لا يرى الناس يديك . مفهوم ؟

وهز البوليس السرى راسه . وأدرك من هذه التحفظات انه اما ان يكون الوقت نهارا واما ان يكون المطار مضاء ، وهو اذن مطار خاص اذ لا يمكن لاى طائرة ان تهبط فى مطار رسمى ليلا الا اذا كانت حائزة على تصريح خاص يسمح لها بذلك .

والقى رفيقه يده فوق كتفه ليرشده الى الطريق قائلا :

ـ من هنا يا مستر ستينسن .. اخفض راسك قليلا .. والان اهبط درجتين .

اذن فقد احتاط ذو المفتاح ودبر الامر بحيث اذا رآه أحد وهو فى هذه الحالة اعتقد انه مستر ستينسن الاعمى !

وهبط من الطائرة . وفى اللحظة التى لمست فيها قدمه ارض المطار سمع محرك سيارة يدور . وقال له رفيقه : هاهى سيارتك يا مستر ستينسن .

وعاونه رفيقه على الصعود . وأدرك البوليس السرى المنكر على الفور من لين الوسائد وصوت المحرك انه يجلس فى سيارة فاخرة فخمة .

وصعد رفيقه الى جواره ، وما كاد يفعل حتى انطلقت بهما .

ومرت ساعة والسيارة منطلقة فى سبيلها والبوليس السرى يحاول ان يطبع فى ذاكرته المنحنيات والمنعطفات التى تطويها طيا .

واخيرا وقفت ، وقال له رفيقه وهو يعاونه : انزل يا عزيزى .

وادرك جيز المزعوم من اختلاف اللهجة انهم بلغوا نهاية رحلتهم وهى بلا شك المركز العام لذى المفتاح .

وصعد وهو متوتر الاعصاب سلما حجريا صغيرا .

وبينما كان واقفا ينتظر دار حديث خافت بين رفيقه وبين شخص آخر . وكانت ارض الغرفة مفروشة بسجادة سميكة غاصت فيها قدماه . فادرك انه فى بيت مؤثث بفاخر الرياش ولكن اين موقعه ؟ ومن هو ذو المفتاح ؟

وخفق قلب البوليس السرى فقد القى رفيقه يده على كتفه مرة اخرى وقال له : تعال من هنا يا جيز .

وفتح بابا ادخله منه ثم اغلقه خلفهما . . ورفع المنديل عن عينيه .

ولم ير البوليس السرى شيئا فى بادىء الامر .. فقد بهر النور الفجائى عينيه ، ولكن لم تلبث معالم الأشياء ان اخذت تبدو وتتجسم ، وسرعان ما راى نفسه فى غرفة اكتملت فيها اسباب الراحة .. كانت ثمينة الاثاث أشبه بالاستوديو ولكنها كانت خالية من النوافذ . وكانت النار تتأجج فى الموقد وفوق الموقد نفسه صحفة عليها زجاجة من الشراب وبضع كؤوس .

واشار رفيقه الى بابين مغلقين وقال :

ـ الحمام الى اليسار وغرفة النوم الى اليمين وسوف تجد سترة كاملة وثيابا داخلية فوق الفراش وجميعها تناسبك لانها صنعت طبقا لمقاساتك .

وشمل الغرفة بنظرة واردف يقول :

ـ فى هذه الغرفة يأتى عملاؤنا لتصفية الحساب قبل ان تنتهى مسئولية ذى المفتاح حيالهم . فهو يقوم بتهريبهم نظير مبلغ من المال وعليهم هم بعد ذلك ان يصونوا حريتهم .

واستطرد يقول مزمجرا :

ـ هذه الغرفة تختلف كثيرا عن سجن بولدرمور ، اليس كذلك ؟ سأتركك الان لتغتسل وتستبدل ثيابك وسوف يكون العشاء جاهزا بعد ساعة ، وهناك ضيف سيشاركك فى تناوله

وسمع البوليس السرى المفتاح يدور فى القفل والمزلاج يوضع خلف الباب وتقدم جيز الى وسط الغرفة وصب لنفسه كأسا من الويسكى ثم اشعل سيجارة ودلف الى غرفة النوم.

وكانت غرفة الحمام متصلة بغرفة النوم ، وبعد عشرين دقيقة كان قد اغتسل واستبدل ثيابه . وكانت السترة الزرقاء المخططة تناسبه تماما كما لو كانت فصلت لاجله .

والحق انه كان يشبه مالكولم جيز فى قامته وهيئته ، وهذا هو السبب الذى دعاه الى ان يعرض على ذوى الشأن ان ينتحل شخصية جيز علّه يهتدى الى حقيقة ذى المفتاح .

وفحص البوليس السرى نفسه فى المرآة . كان اشقر الشعر ، اسمر اللون ، عسلى العينين ، ذا انف معقوف ، تعلو ذقنه ندبة لايشك من يراها فى انها حقيقية.. كان تنكره متقنا وما كان يتسنى لاحد ان يفرق بينه وبين السجين الحقيقى الا اذا كانت له به سابق معرفة

على ان الخطر الوحيد الذى كان يهدده كان يكمن فى الجملتين الاخيرتين اللتين نطق بهما حارسه وهما « فى هذه الغرفة يأتى عملاؤنا لتصفية الحساب » و « هناك ضيف سيشاركك الطعام »

لم يكن هناك شك فى ان المعنى بتصفية الحساب هو التعهدات المالية التى تمت بين جيز الحقيقى وبين ذى المفتاح. ولكن ترى ماهى هذه التعهدات ؟ وكيف يستطيع ان يخفى عن محدثه انه يجهل عنها كل شىء ؟

و « هناك ضيف سيشاركك الطعام »

هل معنى ذلك انه سيتناول الطعام مع ذى المفتاح . وانهما سيصفيان الحساب خلال ذلك .

وانتقل الى الاستوديو حيث اشعل سيجارة وسار الى المكتبة وطفق يفحص عناوين الكتب .. وفتح كتابين او ثلاثة فى غير اكتراث ولم يجد على اى واحد منها اشارة ما الى صاحب البيت .. وكان بعضها يدل على انه مشترى من باريس والبعض الاخر من لندن . ولكن لم يكن هناك مايدل على شخصية صاحبها .

وفجاة سقطت ورقة من بين صفحات كتاب كان فى يده.. وفى حركة سريعة انحنى والتقطها وقرا عليها هذه الكلمات : اليوت لانج شقة رقم ٨ بعمارة كاسلرى نايتسبريدج ، لندن

ودس الورقة فى جيبه وقد عزم على ان يبحث امرها فيما بعد .

ولم يلبث ان دار المفتاح فى القفل ورفع المزلاج من مكانه ودخل رفيقه فى السفر وهو يدفع مائدة متحركة صفت عليها اطباق الطعام لشخصين . وقال له وهو يبتسم :

ـ سوف يحضر ضيفك بعد لحظة ..

وما كاد الباب يغلق خلفه حتى اسرع البوليس السرى الى المائدة وتناول منشفة راح يقلبها بين يديه باحثا فيها عن الحروف الاولى التى تكون على مثل هذه الاشياء عادة ، ولكنه لم يجد لها اثرا .

وسمع المفتاح يدور ثانية فاعاد المنشفة فى خفة الى مكانها على المائدة . ودخل شخص وقف خلفه. اهو ذو المفتاح؟ وتحول فى تؤدة ، وتوترت اعصابه فجاة ، فقد راى امامه امراة

تتطلع اليه وظهرها الى الباب . وكانت ترتدى ثوبا من ثياب السهرة يكشف عن كتفها العاجيتين . وكانت طويلة القامة شعرها أسود فاحم ، ويتدلى من اذنيها قرطان من الياقوت الثمين . وهتفت فى صوت خافت اجش مالكولم ! .

ولكنها لم تلبث أن امسكت عن الكلام على الفور واتسعت حدقتاها ورفعت يدها الىعنقها كمالو كانت تختنق ،وتمتمت تقول بصوت لايكاد يسمع :

ــ أنت .. أنت لست زوجى .. من أنت ؟

ووقف البوليس السرى لايتحرك ولايريم .

وفجأة تحولت المرأة الى الباب وراحت تدق عليه بيديها فى حنق وغيظ وهى تصيح فى حدة .دعونى اخرج .. دعونى اخرج من هنا ؟

وسمع البوليس السرى صوتا خلفه . وتحرك لوح خشبى صغير فوق المكتبة ظهرت منه فوهة مسدس مصوب اليه وسمع صوتا يقول بلهجة الامر :

ــ لاتتحرك مهما تكن شخصيتك . ولم يتحرك شرلوك هولمز ..

الفصل الخامس ــ كلير تورجلر

بعد حادث الفرار بأربع ساعات ، بينما كانت الاعلانات المضيئة ترسل اشعتها المختلفة الالوان فىانحاء لندن ، خرجت امراة فى عنفوان الشباب ترتدى معطفا من الفرو من محطة المترو بميدان ليستر . وكان احد الصبية يصيح باعلى صوته مناديا على الصحف وقد ظهرت فى الصفحة الاولى صورة مفتاح كبير .. وشقت المرأة طريقها بين الجمهور وابتاعت جريدة ووقفت تتصفحها .

كانت طويلة القامة ، فضية الشعر ، ذات عينين زرقاوين وشفتين حمراوين ، تنم اساريرها عن القسوة والقحة . وفى الصفحة الاولى ، بين اخر الانباء . عثرت على ما تبحث عنه تحت عنوان « حادث جديد لذى المفتاح » .

وقرات الخبر على عجل . وعندما بلغت هذه الفقرة :
« وقد عاد الحارس تورجلر الى بيته بعد ان ضمدت جراحه فى مستشفى السجن » ابتسمت وطوت الجريدة ، ثم القت بها فى سلة المهملات وسارت فى طريقها الى تشارنج كروس .

وكان يسير خلفها رجل قصير القامة يرتدى قبعة رخوة ومعطفا بنى اللون وهو شامخ بانفه ويتظاهر بالنظر الى الاعلانات المضيئة .

وبينما كانت كلير تورجلر تقطع الطريق فى تؤدة راحت تفكر فى بيتها بوادى سالسبورى وفى السجن المخيف الذى يشرف عليه .. سوف تغتبط كل الاغتباط حين تودع هذا المنظر الكئيب الى الابد .. فهى لم تخلق لكى تكون زوجة احد الحراس ومن حسن الحظ ان زوجها كان قد ادرك ذلك اخيرا .

وبلغت مدخلا للسينما متلألىء الانوار ، فدخلت وابتاعت لنفسها تذكرة وارتقت سلما ، ثم جلست الى مائدة وطلبت قدحا من الكاكاو وهى تخلع قفازها .

وفى تلك الاثناء كان الرجل القصير ذو القبعة الرخوة قد دخل خلفها وسار راسا الى باب كتب عليه « قاعة التدخين »

وبعد ان القت كلير تورجلر حولها نظرة فاحصة اتت شيئا غريبا . فقد وضعت احد القفازين فوق المائدة والقت بالاخر الى الارض ، ثم تناولت سيجارة واشعلتها فى هدوء .

وظل الناس بين داخل ومنصرف ، وفرغت كلير من احتساء قدحها ونظرت الى ساعة يدها . كانت التاسعة تماما .. وبدا القلق فى عينيها .

وفى هذه اللحظة دخل رجل مدثر بمعطف اسود وشملة بيضاء وقبعة عالية . وكان قصير القامة هو ايضا ، اسمر البشرة ، أنيق الهندام ، وتقدم واضعا يديه فى جيبى بنطلونه ومر بالاوركسترا وبكلير تورجلر وكاد يتعداها ولكنه عندما لمح القفاز فوق السجادة نظر الى صاحبته ، ثم انحنى والتقطه

وناولها اياه ، وهو يقول فى صوت اشبه بالهمس : ماذا تعرفين؟

فهمست كلير تورجلر هى الاخرى قائلة : لقد تغلبنا على المدير .

فخرجت يد الرجل الاخرى من جيبه . وفى لحظة خاطفة كان يدس فى يد كلير مظروفا ضخما وانحنى الرجل انحناءة خفيفة ثم اختفى خلف الباب المكتوب عليه «مقاعدالاوركسترا»

وعندئذ خرج الرجل الاول ذو القبعة الرخوة واقتفى خطواته . ولم تره كلير تورجلر اذ كانت اصابعها الرقيقة تعالج المظروف وقلبها يخفق بشدة وعيناها تلمعان ببريق النشوة والجذل . ذلك لان المظروف كان يحتوى على الف جنيه .

واعترضت احدى عاملات السينما الرجل ذا القبعة الرخوة قائلة : تذكرتك من فضلك .

فبسط الرجل اليها يده ، وعلى ضوء مصباحها الكهربائى رات العاملة فى يده بطاقة عليها هذه الكلمات :

« المفتش شيفرون باسكوتلانديارد » فأسرعت تسأله :

ـ اى خدمة يمكنني ان أؤديها لك ؟

ـ لقد دخل الان رجل يرتدى قبعة عالية .. رجل قصير انيق الهندام ؟ ارجو أن تتبعيني .

وتقدمته العاملة بضع خطوات ثم التفتت اليه قائلة :

ـ فى هذا الصف .. المقعد الثالث .

ونظر المفتش شيفرون الى المقعد الثالث فاذا هو شاغر لا يجلس فيه أحد .

وعلى بضع خطوات لمح بابا منقوشا عليه « خروج » فاسرع اليه ودلف منه الى ممر طويل . ولم يكن به احد ولكنه راى على يساره بابا قرا عليه هاتين الكلمتين : « تواليت الرجال » .

وتوارى المفتش خلف احد العواميد بحيث يتمكن من مراقبة الممر من غير ان يراه احد . كان واثقا بان الرجل

موجود داخل غرفة التواليت يتظاهر بانه يغسل يديه بينما هو فى الحقيقة ينظر الى المرآة ليرى أهناك من يتبعه .

وبعد دقيقتين خرج الرجل والقى حوله نظرة سريعة ثم سار الى السلم ودلف من الباب الى الخارج .

وعندما خرج شيفرون بدوره كان الرجل يستقل سيارة اجرة والبواب يغلق الباب خلفه .

واشار شيفرون الى سيارة اخرى تنتظر فى الموقف امام السينما . وبينما كان السائق يدور بها ليتسنى له الوقوف امام مدخل السينما دنا المفتش من البواب وكشف له عن شخصيته ثم سأله قائلا : هل سمعت العنوان ؟

ـ الذى ذكره ذلك الرجل ؟ طبعا ، لقد امر السائق ان يذهب به الى ناصية شارع واتلنج من ناحية سان بول .

وانطلقت سيارة شيفرون خلف السيارة الاولى ولكنها فقدت اثرها فى ميدان ترافلجار . والتفت السائق الى المفتش حائرا فقال له هذا الاخير :

ـ لا بأس .. اذهب بى الى كنيسة سان بول .

وعندما وقفت السيارة امام الكنيسة هبط شيفرون ونقد السائق اجره ثم دار حول بناء الكنيسة حتى بلغ ناصيةشارع واتلنج . وهناك لمح الرجل ذا القبعة العالية يسير علىالافريز المواجه على بعد خمسين مترا ثم ينعطف فجأة الى شارع مجاور . وما هى الا دقيقة حتى بلغ شيفرون اول الشارع المذكور .

ورأى نفسه فى زقاق مسدود .. ولكنه لم يلبث انسمع آخر باب فى الزقاق ينصفق . وبلغ شيفرون البيت الاخير .. ونظر الى واجهته متوقعا ان يرى بصيصا من النور يستطيع منه ان يستدل على وجهة غريمه . ولكن النوافذ كلها ظلت موصدة . ومرت لحظة وهو واقف لا يدرى ما يفعل عندما تناهى الى سمعه صوت آلى اشبه شىء بالصوت الذى يصدر عن المصعد .

واخرج مصباحه الكهربائي على الفور وبدأ يعالج القفل بواسطة بضعة مفاتيح معه ولم يلبث ان دخل ، واغلق الباب خلفه في هدوء .

ووقف في الظلام لا يتحرك وهو مرهف الحواس . وكان صوت المصعد قد انقطع .. فاطفأ مصباحه وبدأ يرقى الدرج في حذر .

وتوقف عند الدور الاول وارهف اذنيه ، ثم اشعل مصباحه وحول شعاعه الى بئر المصعد فلم يجد المصعد اثرا وصعد الى الدور الثاني وقام بنفس العملية .

وعندما بلغ الدور الخامس الفى المصعد واقفا .

ووقف دقيقة لا يتحرك مرهفا سمعه . ولكنه لم يسمع شيئا فيما عدا صوت ساعة قريبة داخل لاحدى الغرف .

ولم يراى بصيص من النور يدل على ان هناك احد خلف هذه الابواب واستبدت الحيرة بالمفتش . كان واضحا ان الرجل صعد حتى الطابق الخامس ولكن اين دخل ؟ .. وراح ينصت عند كل باب واخيرا اخرج مفاتيحه وعالج أبواب الغرف كلها فزارها غرفة غرفة ، وكانت كلها عبارة عن مكاتب لشركات مختلفة . وبعد ان قام بتفتيشها تفيشا دقيقا لم يكن هناك مفر من التسليم بالحقيقة المؤلمة وهى ان الرجل قد اختفى تماما

اظهر الكولونيل سبنس استياء كبيرا عندما قدم اليه المفتش شيفرون تقريره عن اختفاء الرجل وقال :

ـ لقد أصبحنا في موقف لا يمكننا من مساعدة شرلوك هولمز .

لقد هرب احد المساجين من سجن باركهرست وهناك من الادلة ما يدل على ان شخصا من الخارج ساعده على الهرب . وقد عثر رجال البوليس على رسم مفتاح في غرفة السجين وانتهزت الجرائد هذه الفرصة وابتدعت اسم الرجل ذى المفتاح .

وبعد بضعة أيام اتصل بنا مدير سجن بريكستون وقال لنا انه يشتبه في أن سجينا اسمه مالكولم جيز على اتصال بالخارج بطريقة لم يستطع الاهتداء اليها .. وقد بقى جيز على اتصاله بالخارج حتى بعد نقله من سجن واندسوورث .

وفي ذات يوم كنت أتناول الطعام مع صديقى الباحث الجنائي الكبير شرلوك هولمز فذكرت له هذا الامر عرضا أثناء الحديث . ولم يقل لى شيئا في ذلك اليوم ولكنه جاءني في اليوم التالى وقال لى انه درس ملف جيز وانه اكتشف ان هناك شبها كبيرا بينه وبين هذا الاخير وان لديه اقتراحا .

وقد قبلت اقتراحه وقمت بتنفيذه على الفور فانتحل شرلوك هولمز شخصية جيز عندما نقل هذا الاخير الى سجن بولدرمور من غير أن يدرى احد . ونقلنا جيز الى السجن نفسه حتى يتمكن شرلوك هولمز من رؤيته عن كثب لدراسة عاداته وطباعه .

وما كاد جيز المزعوم يصل الى سجن بولدرمور حتى بلغته رسائل شفوية من أحد الحراس وهو المدعو جاك تورجلر ولا مراء في ان الرجل المعروف بذى المفتاح قد توصل الى شراء ذمته ..

وقد كان في استطاعتنا أن نقبض على تورجلر على الفور ولكن كان من المحتمل انه لا يعرف شخصية الرجل الذى يعمل لحسابه . وكان مجرد الاقدام على هذه الخطوة من ناحيتنا معناه تنبيه ذى المفتاح الى الخطر ولهذا آثر شرلوك هولمز ان يخاطر بنفسه ويهرب كما لو كان سجينا حقا .

وكان هناك احتمالان يمكن ان يؤديا بنا الى الكشف عن شخصية ذى المفتاح ، ولم نكن نعتمد على أولهما كثيرا وهو أن مالكولم جيز الحقيقى عندما يجد أن أمره قد انكشف لا يلبث ان يتكلم .. ولكنه أبى .

اما الاحتمال الثانى فكان أكثر أهمية .. فان تورجلر كان يتلقى تعليمات من ذى المفتاح ، فبأى طريقة كانت تبلغه ؟

واتجهت شبهاتنا على الفور الى زوجته فهى تقيم فى لندن مع اخت زوجها ، وقد ثبت لدينا انها تكتب لزوجها كل يوم . والذى لا مراء فيه هو انها كانت تفضى اليه بالاوامر التى تتلقاها أولا بأول . .

وكان واضحا ان تورجلر وزوجته سيصلهما ذات يوم ان آجلا أو عاجلا ، مبلغ كبير من المال مكافأة لهما . . ولم يكن من المعقول ان يرسل اليهما هذا المبلغ فى البريد العادى او بحوالة بريدية ، كما انه من غير المعقول ان يرسل اليهما مسجلا ، اذ أن هذا الاجراء سيترك خلفه اثرا فى مكاتب البريد يؤدى اليهما ، ولن يستطيعا عندئذ أن يعللا مصدره .

وكان من المؤكد اذن أن تتم المقابلة بين مدام تورجلر وبين احد اعوان ذى المفتاح وقد كلفتك انت يا شيفرون بالاشتراك مع المفتش بنسون باقتفاء اثرهما ومراقبتهما . . واخيرا ، وكما جاء فى تقريرك تمت المقابلة . . وتبعا للتعليمات الصادرة اليك تركت المرأة وتبعت الرجل . وكان من الضرورى أن لا يفلت منك لانه الخيط الاخير الذى يؤدى الى ذى المفتاح والذى بواسطته يمكننا انقاذ هولمز . ولكنك لسوء الحظ فقدت أثره .

فاجابه شيفرون وهو يقلب قبعته الرخوة بين يديه :

ـ يمكننا أن نقبض على المرأة فنحن نعرف أين هى .

ولكن القومسير هز رأسه وقال :

ـ سوف نضطر الى القبض عليها ذات يوم ، ولكن ليس الآن . فاننا اذا القينا القبض عليها أو على زوجها اليوم فسوف يعلم ذو المفتاح بذلك وسيكون فى هذا كل الخطر على هولمز . وهذا هو السبب الذى جعلنا نبلغ الجرائد نبأ فرار جيز .

ـ كلا . . ينبغى ان نهتدى الى ذى القبعة العالية بأى ثمن . يجب أن نستجوب ـ ولكن فى تكتم شديد ـ كل من له مكتب بعمارة شارع واتلنج . ومن المحتمل ان نهتدى اليه وان كنت فى شك من ذلك .

ومال الى محدثه واستطرد يقول :

ـ احب ان تعلم أن الامر شديد الخطورة بالنسبة لهولمز فهو بمفرده فى مكانه المجهول منا . واذا اتفق ان حدث شيء او اذا افتضح امره فانى اعترف لك بأنى لست كبير الامل فى ان اراه حيا بعد ذلك .

الفصل السادس ـ القفز

سمع هولمز صوت الحصى تحت العجلات بضع دقائق لم تلبث بعدها ان انطلقت العربة فى سرعة متزايدة . . ورفع سيجارته الى شفتيه وراح يفكر . . ولم يكن فى استطاعته ان يرى الدخان المتصاعد منها اذ انهم عصبوا عينيه من جديد وقد خيل اليه انه بقى فى بيت ذى المفتاح ما يقرب من أربع وعشرين ساعة لكنه لم يكن متأكدا كما انه لم يكن يدرى أكان الوقت ليلا ام نهارا .

وجلس رفيقه بجانبه ملتزما الصمت . . كان هو نفس الرجل الذى رافقه عند قدومه وكان مزودا بمسدسه وقد اصدر اليه امره بأن لا يتحرك .

ولم يكن هولمز قد اتى بحركة ما تحت تهديد السلاح وهو فى مسكن ذى المفتاح . وما هى الا لحظة حتى فتح الباب وخرجت المرأة . وعندئذ خاطبه الرجل الذى يهدده بمسدسه قائلا :

ـ لك مطلق الخيار . . اما أن اطلق عليك رصاصة فى قدمك تشل حركتك ثم آتى فأزيل تنكرك . واما ان تزيله انت بنفسك الان فورا .

وتنهد هولمز . . ان وجود هذه المرأة ، زوجة جيز ، هو العقبة الوحيدة التى لم يفكر فيها ولكن عدم ظهورها اثناء نظر القضية هو الذى انساه اياها . ومع ذلك فقد كان ينبغى أن يذكرها تماما لان كورين جيز ـ وكان اسمها قبل الزواج الليدى كورين سنكلير ـ واسعة الثراء وما دام هناك شخص يدفع بسخاء لتهريب جيز فقد كان واضحا انها هى ذلك

الشخص . ولكن هولمز لم يفكر فى ذلك وقد ادرك ـ بعد فوات الاوان ـ ان هذه الغلطة قد تكلفه حياته .

واجاب فى هدوء هو يحاول ان يسيطر على أعصابه :

ـ سوف احتاج الى مرآة ؟

ـ امامك واحدة فوق الموقد . ولكن احرص على ان لا تاتى باى حماقة ولا قتلتك .

اخرج هولمز منديلا من جيبه وسار نحو المرآة وهو يشعر بأن الرجل يعنى ما يقول حقا . وبعد دقيقة دار على عقبيه وقد تغير شكله كلية فاختفت الندبة التى فوق ذقنه وتلاشى اللون الشاحب الذى يكسو ملامح وجهه وحل محله لون أسمر داكن . وبدا شعره اسمر قصيرا . ونظر اليه الرجل لحظة من خلال الثغرة ثم اختفى دون ان ينطق بكلمة واحدة فادرك هولمز ان الرجل قد عرفه .

وكانت وجبة الطعام الباردة التى اعدت قبل مجىء تورين جيز لا تزال موجودة . وكان هولمز جائعا ولم يكن يدرى متى يقدم اليه الطعام ثانية فجلس والتهم ما امامه التهاما .

وبعد ان افرغ زجاجة النبيذ دخن سيجارتين وهو يشعر بالندم لانه لم يحضر غليونه معه ثم سار الى غرفة النوم حيث خلع سترته واستلقى فوق الفراش ولم تمض دقيقتان حتى كان يغط فى سبات عميق لم يستيقظ منه الا بعد خمس ساعات .

وجلس واشعل سيجارة . وفجاة فتحت الكوة وامتدت يد فوضعت فوق المكتب طبقا به بعض الشطائر ودورقا صغيرا مملوءا بالقهوة الساخنة ثم انسحبت واغلقت الكوة .

وعندما فتحت ثانية راى مسدسا مصوبا اليه يمسكه رجل مقنع بينما فتح رفيقه فى السقف الباب على مصراعيه وقال له :

ـ سأوثق يديك واعصب عينيك يا هولمز ومن مصلحتك

ان لا تاتى باية مقاومة .

فاجابه البوليس السرى فى هدوء : هل يمكننى ان اشعل سيجارة ؟

وهز الرجل رأسه موافقا فاشعل هولمز سيجارة ثم بسط يديه الى الاخر فى هدوء .

واذ احتل مكانه من السيارة احس بأنها تقطع نفس الطريق الذى اقبلت منه ولكنها تسير فى هذه المرة فى الاتجاه المضاد . فراح يعد المنحنيات والمنعطفات كما فعل فى المرة الاولى . وادرك مرة أخرى ان السائق لم يغير من سرعة السيارة وانه لم تعترضه فى طريقه اية سيارة أخرى . وعندما فرغ هولمز من تدخين سيجارته تظاهر بانه يبحث عن المنفضة وتاكد بهذه الطريقة ان الستائر مسدلة .

وامسك زميله يديه فجاة وارشده الى المنفضة ثم قال له من غير تمهيد :

ـ انا لم نلق عليك اى سؤال يا هولمز فلم يكن هناك ضرورة لذلك . ولكنى أحب ان اقول لك ان مشروعك جرىء وان كنت لم تفكر فى كل الاحتمالات .. لانك نسيت المراة . ولكن ليس لذلك اية اهمية الان . واذا فرض والقى القبض على تورجلر فلن يستطيع ارشاد البوليس الى اى شىء على الاطلاق . اما انت فأرجو أن تضع كلامى هذا نصب عينيك .. انا نقترب من المطار وعندما تهبط من السيارة سوف تبسط الى يدك باعتبارك مستر ستيفنسن . واذا خطر لك ان تاتى بحركة او تنطق بكلمة فسارسل رصاصة من مسدسى هذا بين جنبيك .

واحس هولمز بجسم صلب فى جنبه وما كادت السيارة تتوقف حتى دوى محرك طائرة . وانزل تحت تهديد المسدس عشرين خطوة ، حتى البقعة التى تنتظر فيها الطائرة . وبعد ان جلس هولمز ايقن أنه فى نفس الطائرة التى اتت به .

وانطلقت الطائرة واخذت سرعتها تزداد شيئا فشيئا ثم

ارتفعت فى الجو فى بضع لحظات .

وعجب اين يذهبون به . لم يكن امامه حتى هذه اللحظة اى امل فى النجاة . بل كان على العكس يتوقع ما بين لحظة واخرى ان يقتل كما تقتل الكلاب . ولكنه الان جالس فى مقعده المريح وقد بدا الامل يراوده .

وخيل اليه انه قدمرت ساعتان على انطلاق الطائرة عندما تحرك رفيقه وقال يخاطبه :

ــ اصغ جيدا لما اقول يا هولمز .. لو اننى تركت نفسى لكنت الان فى عداد الموتى .. فانت ذكى وشديد الخطر ومن الاوفق ازاحتك من الطريق ولكن الزعيم لا يريد ذلك وينبغى ان تنفذ اوامره . هل تسمع ؟

فاجاب هولمز : نعم .

ــ ولست ادرى انكان قد سبق لك ان قفزت من طائرة بالمظلة الواقية « الباراشوت » أم لا ، ومهما يكن فان هذا لا يهمنى واليك اوامر ذى المفتاح : سوف نزودك بمظلة واقية عليك أن تقفز . انا نطير الان على ارتفاع شاهق وبعد دقائق سوف نحلق فوق مقاطعة نورفولك شمال كنج لين ، وهناك ينبغى أن تستعد للقفز .

خفق قلب هولمز ولكنه اجاب بهدوء : فهمت .

ــ ضع قولى هذا نصب عينيك .. ساقطع وثاقك كى تتمكن من وضع المظلة الواقية حول كتفيك .. وفى اثناء ذلك سنصوب اليك ، انا وقائد الطائرة ، مسدسينا فاذا اتيت باى حماقة فسوف تلقى من الطائرة جثة هامدة . أفهمت ؟

فاجاب هولمز فى غير اكتراث : نعم .

ــ حسنا .. ساقطع وثاقك اذن .. ولكن لا ترفع العصابة عن عينيك اذ يجب أن تقفز من غير أن ترى شيئا ما .. ولكن لك أن تطمئن فليس هناك اى خطر .. اللهم الا اذا جذبت حبل المظلة الواقية قبل الوقت المناسب . وعلى كل حال فهذا متروك لتقديرك .. وحالما تنفتح المظلة يمكنك أن

ترفع العصابة عن عينيك .

وخاطب الطيار قائلا : هل انت متاهب يا لارى ؟

فاجابه هذا الاخير : نعم .

ــ أبسط يديك يا هولمز ولا تنس ان مسدسينا مصوبان اليك .

احس هولمز بسكين تقطع وثاق يديه فجعل يفرك يديه تباعا ليساعد على تحريك الدم فيهما . وبينما كان يفعل ثبت الرجل مظلته حول كتفه . ورفع هولمز يديه الى الحبل فتأكد انه سليم .

وقال له الرجل فى غير رحمة : اننا نراقبك جيدا ياهولمز .

واحنى هولمز رأسه ولم يقل شيئا . كانت الافكار تتزاحم فى مخيلته .. لماذا يريده الرجل على ان يقفز وهو معصوب العينين ؟ . لم يكن هناك اى سبب معقول لهذا .. الا .. الا اذا كان هناك شىء لا ينبغى أن يراه .. وفجأة بدت له الحقيقة سافرة : فالطائرة لا تحلق فوق نورفولك ولكنها تطير فوق البحر .. والمظلة غير سليمة طبعا ، وسوف لاتنفتح عندما يقفز الى البحر ، واذا لم يمت قبل ان يصل الى الماء فسوف يغرق فيه حتما . كانت جريمة قتل مدبرة فى جرأة ومع سبق الاصرار .. جريمة قتل لا تترك وراءها اى اثر .

ورفع يده الى حبل المظلة مرة ثانية فصاح الرجل يقول :

ــ كل شىء على ما يرام فلا تخش شيئا .. الباب أمامك الان وسأبسط يدى اليسرى لافتحه .. وقطع عليه زفيف الريح كلماته . وكانت فوهة مسدسه مصوبة الى عنق هولمز .. واحتكت يده اليسرى بكتفه بينما كان يردها الى جانبه بعد ان فتح الباب .

وفجأة اطبق هولمز بيده على معصم الرجل وركع على الارض وهو يرفع الرجل فوق راسه ويجذبه الى الامام نحو الباب المفتوح .. ودوت طلقة نارية ومالت الطائرة بشدة تبعث على الرعب ، وارتفعت صيحة رهيبة بينما كان هولمز

ارتفعت فى الجو فى بضع لحظات .

وعجب اين يذهبون به . لم يكن امامه حتى هذه اللحظة اى امل فى النجاة . بل كان على العكس يتوقع ما بين لحظة واخرى ان يقتل كما تقتل الكلاب . ولكنه الان جالس فى مقعده المريح وقد بدا الامل يراوده .

وخيل اليه أنه قد مرت ساعتان على انطلاق الطائرة عندما تحرك رفيقه وقال يخاطبه :

ــ اصغ جيدا لما أقول يا هولمز .. لو اننى تركت نفسى لكنت الان فى عداد الموتى .. فانت ذكى وشديد الخطر ومن الاوفق ازاحتك من الطريق ولكن الزعيم لا يريد ذلك وينبغى ان تنفذ اوامره . هل تسمع ؟

فاجاب هولمز : نعم .

ــ ولست ادرى ان كان قد سبق لك ان قفزت من طائرة بالمظلة الواقية « الباراشوت » أم لا ، ومهما يكن فان هـذا لا يهمنى واليك اوامر ذى المفتاح : سوف نزودك بمظلة واقية عليك ان تقفز . . انا نطير الان على ارتفاع شاهق وبعد دقائق سوف نحلق فوق مقاطعة نورفولك شمال كنج لين ، وهناك ينبغى ان تستعد للقفز .

خفق قلب هولمز ولكنه اجاب بهدوء : فهمت .

ــ ضع قولى هذا نصب عينيك .. ساقطع وثاقك كى تتمكن من وضع المظلة الواقية حول كتفيك .. وفى اثناء ذلك سنصوب اليك ، انا وقائد الطائرة ، مسدسينا فاذا اتيت باى حماقة فسوف تلقى من الطائرة جثة هامدة . افهمت ؟

فأجاب هولمز فى غير اكتراث : نعم .

ــ حسنا .. ساقطع وثاقك اذن .. ولكن لا ترفع العصابة عن عينيك اذ يجب أن تقفز من غير أن ترى شيئا ما .. ولكن لك أن تطمئن فليس هناك اى خطر .. اللهم الا اذا جذبت حبل المظلة الواقية قبل الوقت المناسب . وعلى كل حال فهذا متروك لتقديرك .. وحالما تنفتح المظلة يمكنك ان

ترفع العصابة عن عينيك .

وخاطب الطيار قائلا : هل انت متاهب يا لارى ؟

فاجابه هذا الاخير : نعم .

ــ أبسط يديك يا هولمز ولا تنس ان مسدسينا مصوبان اليك .

احس هولمز بسكين تقطع وثاق يديه فجعل يفرك يديه تباعا ليساعد على تحريك الدم فيهما . وبينما كان يفعل ثبت الرجل مظلته حول كتفه . ورفع هولمز يديه الى الحبل فتأكد انه سليم .

وقال له الرجل فى غير رحمة : اننا نراقبك جيدا ياهولمز .

واحنى هولمز راسه ولم يقل شيئا . كانت الافكار تتزاحم فى مخيلته .. لماذا يريده الرجل على ان يقفز وهو معصوب العينين ؟ . لم يكن هناك اى سبب معقول لهذا .. الا .. الا اذا كان هناك شيء لا ينبغى ان يراه .. وفجأة بدت له الحقيقة سافرة : فالطائرة لا تحلق فوق نورفولك ولكنها تطير فوق البحر .. والمظلة غير سليمة طبعا ، وسوف لاتنفتح عندما يقفز الى البحر ، واذا لم يمت قبل ان يصل الى الماء فسوف يغرق فيه حتما . كانت جريمة قتل مدبرة فى جراة ومع سبق الاصرار .. جريمة قتل لا تترك وراءها اى اثر .

ورفع يده الى حبل المظلة مرة ثانية فصاح الرجل يقول :

ــ كل شيء على ما يرام فلا تخش شيئا .. الباب امامك الان وسأبسط يدى اليسرى لافتحه .. وقطع عليه زفيف الريح كلماته . وكانت فوهة مسدسه مصوبة الى عنق هولمز .. واحتكت يده اليسرى بكتفه بينما كان يردها الى جانبه بعد ان فتح الباب .

وفجأة اطبق هولمز بيده على معصم الرجل وركع على الارض وهو يرفع الرجل فوق راسه ويجذبه الى الامام نحو الباب المفتوح .. ودوت طلقة نارية ومالت الطائرة بشدة تبعث على الرعب ، وارتفعت صيحة رهيبة بينما كان هولمز

نفسه ينحدر نحو الباب المفتوح محاولا فى الظلام الذى يكتنفه ان يتشبث بكل ما تصادفه يده .

وتلاشت الصيحة التى انبعثت من الرجل الاخر وهو يهوى فى الجو بدلا من هولمز وكانت الطائرة لا تزال مائلة . وقد ترك الطيار المحرك ليحاول ان يدفع بهولمز منها ايضا ولكن هذا الاخير تشبث بكل ما اوتى من قوة باحد المقاعد .

ومرت لحظة تعلق فيها بيد واحدة بينما رفع بالاخرى العصابة عن عينيه .

وبهره النور فى بادىء الامر ولكن بعد لحظات اختفت الحلقات الملونة التى كانت تتراقص امام عينيه .. ودفع الباب بقدمه فاغلقه ثم قام بمجهود الفى نفسه على أثره فى وسط الطائرة ، ثم انبطح على وجهه على الفور وكان فى هذا نجاته اذ اطلق الطيار رصاصة اخترقت ظهر المقعد .

ومالت الطائرة مرة أخرى فى هذه اللحظة فتدحرج شيء الى جوار هولمز .. شيء له صليل معدنى اسرع هولمز فتناوله فاذا به مسدس الرجل الذى سقط .

وجثا هولمز على ركبته ونظر نحو الطيار فرآه منحنيا نحوه مصوبا مسدسه ، وهو يحاول احكام الهدف .. وكان من المستحيل ان يخطئه هولمز وهو فى هذا الوضع فاطلق مسدسه .

وفتح الطيار فمه ولكنه لم يصرخ .. واختلج جسده ثم سقط المسدس من يده ، ومال راسه فوق عجلة القيادة . ومالت الطائرة فجاة فتدحرج هولمز حتى المقعد الذى امامه ولم يتمكن من الوقوف اذ راحت الطائرة تهبط فى خط افقى .

واستطاع أن يزحف حتى مقعد الطيار .. واعتمد باحدى يديه على ظهر المقعد بينما اخذ يحاول بالاخرى رفع جثة الطيار من مقعد القيادة .

ومن خلال النافذة لمح شعاع الفجر على المياه .. مياه المحيط .. فتعلق بعجلة القيادة محاولا اعادة الطائرة الى

وضعها الاول ، ولكن العجلة لم تتحرك .. فقد تحطمت الاسلاك ولم يعد فى مقدوره ان يسيطر على حركة الطائرة التى اخذت تندفع أفقيا الى البحر كشهاب ساقط ..

الفصل السابع — أنباء من دارتمور

لم تكن قد وردت أنباء عن هولمز الى بولدرمور حتى مساء الاثنين التالى عندما وصل اربعة من كبار موظفى مصلحة السجون لاجراء تحقيق فى الحوادث الاخيرة .

وتشاور الاعضاء فيما بينهم ثم اجابوا القوميسير الى طلبه . واستدعى تورجلر .

وبينما هو لا يدرى أن دوره فى حادث الفرار معروف من الجميع حاول الحارس الا يفتضح امره .. كان يريد ان يخلق شعورا كاذبا وان يبرز الناحية المشاكسة فى خلقه حتى يجبرهم على طرده ، فالان وقد حصلت كلير على النقود من ذى المفتاح لم يعد هناك ما يرغمه على هذا العمل .. وكان غارقا فى اعداد اجوبته فلم يسمع الطرقة الخافتة على الباب ولم ير الوافد الجديد يعطى الحاجب ورقة ثم يذهب الى آخر القاعة ويجلس . اما الحاجب فقد قدم الورقة للقوميسير هوبل الذى قراها من غير ان تتغير ملامحه . ولكن عندما هم ماركوس سكوت ان يصرف تورجلر نهض مبعوث سكوتلانديارد وقال : انتظر لحظة واحدة من فضلك .

فبقى تورجلر فى مكانه ، أما هوبل فانثنى الى ماركوس سكوت واسر فى اذنيه بضع كلمات ما كاد يسمعها حتى هتف : ليتقدم الدكتور واطسون ليدلى الينا بما عنده ..

فقال الدكتور واطسون : تعلمون طبعا أن السجين الهارب ليس الا شرلوك هولمز .

فنظر اليه جاك تورجلر بعينين ملؤهما الفزع بينما استطرد واطسون يقول :

— وبينما كان هولمز فى السجن قمت انا بمراقبة الحارس تورجلر فى الخارج . وفى ايجاز ذكر لهم واطسون كل ما رآه

من خـــلال ثقب الستار ، وكان تورجلر يصغى اليه وهـو كالمصعوق .. واستطرد يقول :

ــ وعنــدما انصرف تسللت داخل الكوخ وقمت بنفس العملية التى قام بها وأخرجت الحزمة ، وهى عبارة عن رسائل من زوجته مسز تورجلر تنقل اليه فيها أوامر ذى المفتاح لتهريب مالكولم جيز ، كما وجدت جوازى سفر باسمين مستعارين معدين لتورجلر وزوجته وتذكرتى سفر الى بونس ايرس .

وقد اعدت الرسائل الى مكانها ولم أجرؤ على التحــدث عنها اشفاقا على حياة هولمز ولكن جد فى الامر شيء منذ ساعة ولم اعد اخشى على هولمز شيئا ، فأسرعت الى المخبأ وهاكم الاوراق أيها السادة .

ودوت فى هـــذه اللحظة رصاصة ، فقد جن تورجلر فأخرج مسدسه واطلق منه رصاصة ولكنها طاشت فلم تصب أحدا . واسرع اليه واطسون واطبق عليه معصمه بكلتا يديه ولكن الحارس كان قويا فدفعه عنه فى عنف وطوح به نحـو المكتب . وانطلقت رصاصة اخرى اصابت المحبرة . واسرع القومسير هويل فأطبق على تورجلر من الخلف بينما اهـوى احـد الحارسين على يده الممسكة بالمسدس فأوقعه منها .

وبعد لحظة وعلى الرغم من مقاومته الشـــديدة تمكنوا من اخراجه من الغرفة .

وفى هذه الاثناء اسرع الدكتور ليونل رينج الى واطسون فأعانه على النهوض . ولما اطمأن الى انه لم يصب بأى جرح سأله قائلا :

ــ ما السبب فى هذا البيان ؟ ظننت أن تورجلر كان ينبغى أن يظل طليقا .

ولم يجبه واطسون وانما اخرج من جيبه برقيـــة قرأ الدكتور فيها هذه الكلمات :

« جاءتنا رسالة من هولمز يقول فيها انه سليم وانه قادم فى أول طائرة .
التوقيع : سبنسن »

وقال المفتش هويل : وانا أيضا جاءتنى برقية .. ويمكنك ان تقرأها يا دكتور .

وكانت البرقية الثانية بهذا النص :

«ألقينا القبض على كلير تورجلر فى الساعة الرابعـــة واستصدرنا امرا بالقبض على جاك تورجلر فأحضره معـك الى لندن حالا
التوقيع : سبنسن »

واردف المفتش قائلا : وهكذا خسر ذو المفتاح الجولة الثانية بفضل هولمز .

وبعد ثلاثة ارباع الساعة كان هويل وواطسون يحيطان بجاك تورجلر والقيد فى يديه ويستقلون جميعا القطار فى محطة بادنجتون .

وكان واطسون ينظر من النافذة . وفجأة كتم صيحـــة كادت تفلت من بين شفتيه وهبط من القطار قبل ان يقف تماما .. كان قد لمح جرائد المساء فى يد صبى فاسرع اليـــه واشترى واحدة وعاد الى رفيقيه وهو شديد الانفعال :

كان على الصفحة الاولى رسم مفتاح كبير وفوقه هــذه الكلمات بالخط العريض :

« هروب من سجن دارتمور »
حادث آخر لذى المفتاح

الفصل الثامن ــ ظهور لوبين

استقبل هولمز الطائرة من فلوشنج الى لندن . وهناك مضى رأسا الى سكوتلانديارد حيث اجتمع بالكولونيل سبنسن ولما كان يحس بالتعب والجوع فقد اختصر المقابلة وسرد على الكولونيل ما وقع فى كلمات وجيزة واختتم حديثه قائلا :

ــ ومن حسن حظى أنى لم ألق حتفى . ولقد مر بى فى حياتى كثير من هـــذه المآزق ولكنى لم أشعر قط بالشعور البغيض الذى شعرت به وانا فى الطائرة لا حول لى ولا قوة . وترجع نجاتى الى سببين : أولهما أن الطائرة كانت تطير على علو شاهق . وثانيهما أننا كنا فوق البحر ، وقد ساعدنى ذلك

على أن اجد متسعا من الوقت لكى أبلغ الباب واختار اللحظة المناسبة للقفز ، ولكن ياللهول تلك اللحظة !. فاننى ما كدت اثب حتى ابتلعتنى المياه وكدت أغيب عن الصواب .. وكل ما اذكره هو اننى اوشكت على بلوغ القاع ثم شعرت ببرد قارس .. لعله هوالذ ى ردنى الى الحياة .

وعندما تنبهت الى نفسى كا نيحيط بى صمت موحش والقمر يرسل اشعته فوق صفحة المياه . .ورأيت فجأة انى أسبح فى بقعة من الغاز وان سحابة من الدخان تتصاعد الى السماء كالضباب وكان هذا هو كل ما بقى من الطائرة . وخلف هذا الحائط الابيض سمعت صوتا خافتا .. فأدركت ان زورقا بخاريا يتقدم ناحيتى ولكنى لم استطع رؤيته .

واخيرا رأيت مقدم الزورق .. كان زورقا صـــغيرا ذا مدخنة رقيعة جدا كصاريته ، ولكنه كان عندى فى هذهاللحظة افخم من الباخرة كوين مارى نفسها .

وابصرنى الذين فى الزورق فانتشلونى من الماء . وقد سألت القبطان : هل هناك بقية من حطام الطائرة او اى اثر للجثتين ؟ ولكنه اجابنى بانه لم يعثر على شيء ما ..

ولا مرشد لى الان فى ابحاثى الا الموضع الذى سقطت فيه الطائرة ، وذكرياتى عن هذا البيت الغامض .. وانا ذاهب الان لاغتسل ، ثم اتناول وجبة منعشة ترد علىقواى فالى الملتقى .. وسأتحدث اليك تليفونيا اذا جدّ فى الامر شيء .

وعندما خرج من غرفة الحمام دق جرس التليفون وسمع صوت الكولونيل سبنس يتحدث اليه ويخبره بهروب سجين آخر من دارتمور .

ــ وقد تم الفرار بعد ظهر اليوم وساعد السجين على الافلات انتشار الضباب فى كل مكان .. وقد عثرنا على ثيابه على بعد كيلو مترين من السجن ، وكانت فيها ورقة عليهــا رسم المفتاح المعهود . والسجين الهارب هو رايموند هاى المحتال ومبتز النقود المشهور .

اخذ هولمز بعد ذلك يدون مذكراته :

« مالكولم جيز .. زوجته غنية فى مقدورها ان تدفع ..

رايموندهاى : مبتز النقود ومحتال من الدرجة الاولى ومن الواضح انه يملك مبلغالا يستهان به . .كافالاسوس ، قبطان باخرة صغيرة غرقت ورفضت شركات التامين ان تدفع قيمة التامين الخاصة بها فما هى الفائدة التى تعود على ذى المفتاح اذن بتهريبه كافالاسوس ؟ »

وامسك عن الكتابة هنيهة وقد خطرت له فكرة جديدة ، ثم عاد يكتب : « هل عادت كورين جيز الى مسكنها ؟ »

وتناول دليل التليفون وراح يقلب صفحاته وعندما عثر على ما يبحث عنه امسك السماعة وادار رقما معينا فأجابه صوت رجل : هالو ؟ . ــ أود أن اتحدث الى مسز جيز ؟

ــ انا رئيس الخدم .. ان مسز جيز ليست موجودة ولن تعود قبل بضعة ايام .. انهـا ليست فى انجلترا ولم تترك عنوانا ما .

واعاد هولمز السماعة ، وعاد الى مذكراته فكتب :

« الكتب بعضها مشتراة من بونتانو بباريس والبعض من هارود بلندن ومن نوتوفر وريد بجزيرة وايت .. وسجن باركهرست .. يقعفى جزيرة وايت.. وقد هرب كافالاسوس من سجن باركهرست »

واعادته ذكرى الكتب الى القصاصة التى التقطها فى بيت ذى المفتاح والى العنوان المحفور فى ذاكرته فكتب :

« اليوت لانج شقة رقم ٨ بعمارة كاسنلرى »

« بنايتسبريدج »

وقلب صفحات دليل التليفون من جديد . فوجد العنوان مذكورا فيه . وادار الرقم الذى وجده فى حركة ميكانيكية ولكنه لم يلبث ان رد يده وقد عبست أساريره وراح يفكر .. من هواليوت لانج .. وكيف وجد اسمه بين صفحات ذلك الكتاب بمسكن ذ ىالمفتاح ؟ ينبغى ان يقوم بالتحقيق لمعرفة

ذلك . وبعد خمس دقائق كان جالسا فى سيارة اخرى تنطلق به الى نايتسبريدج .

وكانت العمارة المذكورة تشرف على المتنزه وعلى واجهتها لافتة مضيئة تحمل هاتين الكلمتين « عمارة كاسترى » .

وتمتم هولمز يقول : لا ريب أن للقاطنين هنا اغنياء .

واستقبله البواب قائلا : من تريد يا سيدى ؟

— أريد مقابلة مستر اليوت لانج .

— الشقة رقم ٨ بالدور الاول .. من اقول له ؟

فناوله هولمز بطاقته . واعطاها البواب الى صبى لم يلبث ان اختفى داخل المصعد ..

وفى ذلك المساء كان المستر اليوت لانج قد دعا الى العشاء اعز صديقين له كما دعا معهما خطيبته . وكان العشاء طيبا لذيذا . وبعد الفراغ منه اضطجعت الفتاة على اريكة فخمة

كانت ترتدى ثوبا ابيض يكشف عن كتفيها الذين لفحتهما الشمس واللذين يتهدل عليهما شعرها الكستنائى الجميل . وقالت تخاطب الشاب الذى الى جوارها وهى تبتسم :

— كم قطعة من السكر ياروجر ؟ .

فأجابها الشاب : قطعتان اذا تكرمت يا صوفيا .

وكان روجر هذا شابا معتدل القامة تبدو على شفتيه دائما ابتسامة ساخرة .

وكان اليوت لانج عريض الكتفين ، أشقر الشعر رياضى الجسم . أما زميله فهو صاحبنا ارسين لوبين .

وبينما كانا منهمكين فى حديثهما طرق الباب ودخل خادم فى يده بطاقة ناولها لاليوت لانج قائلا : هذا السيد يريد أن يراك

وتناول اليوت البطاقة . وما كاد يقرأ الاسم الذى عليها حتى امتقع لونه . واذ رات خطيبته ذلك سألته : من هو ؟

فتمالك الشاب جأشه واجاب فى شىء من الجهد : لا ادرى . .ادخله الى مكتبى .. سأذهب اليه فورا .

وتحول الى صديقيه وقال : أرجو المعذرة . لن اتاخر

راحت الفتاة تنقل عينيها بين الرجلين فى شىء من الاستفهام وفجاة طرق سمعهم صوت معدنى خافت صادر من الغرفة المجاورة . فلم تعره صوفيا اى اهتمام ولكن لوبين وثب فجاة واندفع الى الغرفة التى اختفى اليوت فيها .

كان الشاب واقفا امام مكتبه وفى يده مسدس يصوبه فى هدوء الى خده .

ولكنه قبل أن يضغط على الزناد كان لوبين قد اطبق على معصمه ولوى يده فى عنف بحيث ارغمه على التخلى عن المسدس .. وقبل أن يقع المسدس على الارض كان لوبين قد التقطه ودسه فى جيبه . وما كاد يفعل حتى طرق الباب ثم فتح وارتفع صوت الخادم يعلن اسم القادم قائلا : مستر شرلوك هولمز .

فأحاط لوبين كتفى صديقه بذراعه . وتظاهر بأنه يشير الى ورقة فوق المكتب بينما كان يهمس فى اذنه قائلا : تشجع يا صديقى .. وتمالك روعك .

وتهالك اليوت على المقعد خلف مكتبه بينما تحول لوبين ليخفى انفعال الشاب ، واستقبل القادم قائلا وهو يبتسم :

— اهلا بالصديق العزيز هولمز .. ما كنت أتوقع ان اراك هنا !

فأجابه هولمز وهو يشد على يده :

— وانا ايضا لم اكن اتوقع ان اجدك هنا يا عزيزى لوبين .

كانت مظاهر الرجلين تدل على الهدوء . ولكن نظراتهما كانت تنطوى على التحدى والاستفزاز .

الفصل التاسع — جريمة فى المترو

كانت الظروف قد جمعت بين هولمز ولوبين قبل ذلك مرارا . ولم يستطع الباحث الجنائى الشهير أن يضع يده على هذا الغريم العنيد الذى كان يعتبره ابرع لصوص العالم

ولم يكن قد رآه او سمع عنه منذ سنوات . ولكن هاهى ذى قضية ذى المفتاح تجمع بينهما فجأة وبدون انذار سابق .

فما هى العلاقة بين ارسين لوبين واليوت لانج ؟
وما هى الرابطة التى تربط بينهما وبين ذى المفتاح ؟
واتى لانج بمجهود جبار حتى تمالك جاشه وقال :

ـ تفضل يا مستر هولمز .. اما انت يا لوبين فارجو أن تبقى .. انك تعرف مستر هولمز ، اما انا فلم اتشرف بمعرفته قبل اليوم ولا اعرف سببا لزيارته .

فسار لوبين الى الباب ، وكان قد بقى مفتوحا فاغلقه وفى الغرفة المجاورة راحت صوفيا كلاندون تنظر فى قلق الى الباب المغلق وهى تحاول ان تخمن ما يدور خلفه بينما كان روجر يحاول تهدئتها وادخال الطمانينة الى قلبها .

واحس هولمز بانه قدم فى لحظة حرجة ولكنه مع ذلك القى قبعته فوق المقعد وخلع معطفه ثم قال :

ـ اذن فانت لا تعرف سبب زيارتى يا مستر لانج .

واجابه الشاب دون أن ينظر اليه : كلا .

فقال هولمز فى صوت جاف : هذا امر يؤسف له .

كان واثقا بأن لانج يكذب ومع ذلك لم يستطع ان يعلل كيف خمن الشاب انه عثر على عنوانه بين صفحات كتاب بمسكن ذى المفتاح ؟ لا ريب أن هناك سببا آخر لهذا الخوف وشىء من الخداع قد يتمكن من ارغامه على الاعتراف .

والحق ان لانج كان مضطربا بحيث كان يبدو متاهبا للاعتراف بكل ما يراد منه . ولكن لوبين هرع لنجدة صديقه قائلا :

ـ لا أدرى معنى هذا يا اليوت ... ولو كنت مكانك لطالبت مستر هولمز بكشف أوراقه والا فانه مع ما عرف عنه من رقة وقسوة فى نفس الوقت سيرغمك على الاعتراف بكل السفاسف التى تثقل ضميرك .

فاجاب البوليس السرى متحديا : حسنا .. ماذا كنت تفعل فى بيت ذى المفتاح يا لانج ؟ ـ فى بيت من ؟ ...

ماذا تعرف عن رايموند هاى ؟ ـ لم اسمع عنه قط :

ـ وما لكولم جيز ؟ ـ لا أكثر مما ذكرته عنه الصحف .

ـ والكابتن كافالاسوس ؟

ـ هذه اول مرة اسمع فيها اسمه .

وكان كلما اجاب عن سؤال ازداد صوته وضوحا ثباتا .

ودهش هولمز لهذا التطور فقد كان الشاب منذ لحظات فريسة خوف كبير ولكنه الآن يستعيد هدوءه شيئا فشيئا وسأله لانج بدوره قائلا : ـ اهذا كل ما كنت تريد أن تسالنى عنه ؟

وابتسم هولمز .. اذ كان مطبوعا على بعث الخوف فى نفس فريسته ولذلك قال فى غير اكتراث :

ـ كلا . ليست هذه كل الاسئلة التى كنت انوى القاءها عليك ولكن لا بأس . ان الباقى يستطيع ان ينتظر .

وتناول قبعته ومعطفه وسار نحو الباب وبلغه لوبين قبله ففتحه وهو يبتسم ثم قال :

ـ اظن اننا سوف نلتقى ثانية يا هولمز .

ـ هذا جائز ولكنى لو كنت مكانك لما تمنيت ذلك .

ولم يغلق لوبين الباب الا بعد أن اختفى البوليس السرى داخل المصعد . وعاد الى صديقه وهو يصفر فبادره هذا الاخير قائلا : ـ اظنك ستسألنى ؟

ولكن لوبين قاطعه فى غير اكتراث :

ـ لماذا حاولت أن تنتحر ؟.. نعم .. ولكنى فيما بعد . واذا اردت الحقيقة فان الحماقات التى قد تكون اتيتها لا تهمنى فى شىء . ولكنى صديقك وصديق صوفيا وبهذه الصفة فقط انصحك أن تكون على حذر فان هولمز وراءك وهولمز اذا جرى خلف أحد لا يتركه الا بين جدران السجون .

واما مسالة انتحارك فانتظر حتى أعطيك الاشارة بذلك ، واذا حدث غير هذا فثق انى حينئذ لن استطيع انقاذك . ولكن حتى يأتى هذا الوقت ليس امامك الا ان تفعل شيئا واحدا هو أن تطيعنى طاعة عمياء . أفهمت ؟

ونظر لوبين الى النافذة وسأل : هل تطل هذه النافذة على الشارع ؟

ـ كلا .. ولكن نافذة الغرفة الاخرى تطل عليه .

ـ لنتأكد اذن مما اذا كان هولمز قد غادر البيت .

وفتح الباب وهو يتكلم واجتاز الغرفة دون أن ينظر الى روجر او صوفيا ثم أزاح الستار فى هدوء والقى نظرة الى الشارع .

رأى هولمز يهبط الدرجات الامامية للبناء ويجتاز الشارع . وكان على وشك اعادة الستار عندما رأى رجلا مختفيا خلف صف من السيارات امام القصر يتحرك فجأة ويقتفى اثر هولمز والتفت لوبين الى صديقه روجر وقال :

ـ البس قبعتك ياروجر فنحن خارجان .

وبينما كان يرتدى معطفه ابتسم لصوفيا واليوت ، وكانا واقفين ينظران اليه فى شيء من الحيرة والقلق . وقال :

ـ لا تجزعا .. وانت يا اليوت لا تنتقل من هنا حتى اتصل بك . انني اتركه فى رعايتك يا صوفيا .

ووضع قبعته فوق رأسه وخرج يتبعه روجر .

وعندما بلغا نهاية شارع برومبتون ابصرا هولمز يدخل محطة المترو وبعد لحظات تبعه رجل قصير يخفى ملامح وجهه بقبعة عريضة الحافة وتمتم لوبين وهما يتبعان نفس الطريق :

ـ أود ان أعرف لماذا يتبع هذا الرجل هولمز .

واقبل القطار فاستقله هولمز ، وصعد الرجل القصير فى العربة التالية . أما لوبين وروجر فقد وثبا الى العربة الثالثة . وقال روجر : لماذا تتبع الرجل الذى يتبع هولمز ؟

ولكن لوبين لم يجبه واكتفى بان سأله قائلا : هل سمعت ما حدث هناك ؟

ـ فى مسكن اليوت ؟.. نعم سمعنا كل شيء انا وصوفيا . وكادت الفتاة المسكينة تجن من القلق . ولكن ، لماذا حاول ان ينتحر ؟

ـ لا ادرى .. لا ريب انه اعتقد ان هولمز قدم للقبض عليه . ولامراء فى انه اتى أمرا آثر الموت على افتضاحه . وقد

انصرف هولمز مغلوبا على امره ولكنى استطعت أن أعرف من اسئلته انه مهتم بقضية ذى المفتاح ، ومما لا شك فيه انه عثر على اثر أفضى به الى اليوت . ولابد انه رأى ان لانج كان يضطرب من الخوف وسوف يترصده .

ووقف المترو فى المحطة التالية . ودنا لوبين من باب الخروج ونظر الى الافريز فاحصا ثم قال : لم يهبط احد .

فقال روجر : ما زلت لا افهم .

ـ هناك علاقة بين ذى المفتاح واليوت ، وقد وجدنى هولمز مع اليوت ، فلا شك انه يعتقد الآن اننى انا ذو المفتاح بعينه .

ـ اذا كان الأمر كما تقول فلماذا نتدخل فى هذه القضية؟ الا يجمل بنا ان نبتعد ؟

ـ كلا ياعزيزى روجر . اذا استطعنا ان نقوم بخدمة لهولمز ونقدم له الرجل الذى يقتفى اثره والذى لا أشك فى انه من رجال ذى المفتاح فاننا نبرهن له على انه ليست لنا بهذه العصابة أية صلة .

وتوقف المترو مرة أخرى . وقام لوبين بنفس العملية . ولم يهبط احد هذه المرة أيضا ولكن عندما انطلق القطار من جديد وثب منه رجل وتقدم فى الممر الذى يؤدى الى خارج المحطة . وكان هو هولمز . اما ذو القبعة الخضراء الذى يتبعه فلم يظهر له اثر .

وتردد لوبين ولم يدر ماذا يفعل . وقبل أن يستقر على رأى كان باب العربة قد اغلق من تلقاء نفسه .

وعندما مرت عربتهما امام الممر القى لوبين عليه نظرة محاولا رؤية هولمز .. وعندئذ أدرك لماذا لم يهبط ذو القبعة الخضراء ، فقد كان هولمز طريحا فوق الارض متشابك الذراعين ووجهه الى اسفل ولا حراك به .. بينما كان المترو يبتعد بقاتله .

الفصل العاشر ـ خزانة بركلى ستريت

يقطع المترو المسافة ما بين دوين ستريت وبيكاديلى

سيركس فى دقيقتين .

وكان ذو القبعة الخضراء يقف بجوار الباب والمسافرون منهمكون فى قراءة جرائدهم .. وكان فى استطاعة الرجل ، وهو فى مكانه هذا أن يرى هولمز عندما يهبط .. فلما وثب هولمز فى محطة دوبن ستريت . انتهز القاتل الفرصة على الفور ووضع قدمه امام الباب ليحول دون غلقه . وفى نفس الوقت ضغط بأصبعه على زناد مسدس فى جيب معطفه ، ولم يسمع هو نفسه غير صوت خافت ، ولكنه رأى هولمز يقع ولم يلحظ اى واحد من الموجودين ما حدث .

وانتشرت فى العربة رائحة قماش يحترق .. وخفض الرجل عينيه فرأى فى الركن الايمن من معطفه ثقبا اسود كما لو كانت قد أحدثته سيجارة او غليون مشتعل وضعه فى جيبه سهوا . وفى هدوء تام أطفأ حواشى الثقب المتأججة .

وهبط فى بيكاديلى سيركوس دون أن يلتفت يمنة أو يسرة ودار ببناء المحطة وخرج الى هاى ماركت واجتاز الشارع واستقل الحافلة ، واتخذ طريقه الى دورها العلوى .

ولو اتفق والتقى به المفتش شيفرون صدفة لعرف فيه على الفور ذا القبعة العالية الذى أعطى كلير تورجلر الظرف .

وعندما اقتربت الحافلة من شان بول هبط الرجل الى الدور الاول من الحافلة والقى حوله نظرة عابرة دون أن يلحظ شيئا .. وكان الجالسون ستة بينهم لوبين وصديقه روجر .

ووثب الرجل من الحافلة وهى تسير وأسرع الى الافريز .. ولكنه فى هذه المرة لم يقصد شارع واتلنج بل انعطف الى الشارع العمومى الذى يتفرع منه الشارع المذكور .. وكانت الحافلة تسير فى الطريق نفسه فمرت به والقى نظرة الى داخلها ولكنه لم ينتبه الى أن الجالسين قد أصبحوا اربعة .

واخذ يسير حوالى دقيقة ، ثم وقف أمام بوابة .. وكان الظلام سائدا فأخرج مصباحه .. وكان امامه بابان على أحدهما عدد غير قليل من اللوحات النحاسية الصغيرة وفوق

كل منها جرس .. ورفع الرجل يده الى جرس تقع تحته لوحة عليها هذه الكلمات :

« هالام ملروز : وكيل عام شركة تامينات لويد »

وضغط على الجرس فترة طويلة ، ثم اثنتين قصيرتين ، ثم رابعة طويلة ..

وعندما بلغ الدور العلوى انطفأ نور السلم .. ودفع بابا نقش عليه اسم هالام ملروز .. فاستقبله رجل بادره قائلا :

ـ هل انت واثق من ان احدا لا يتبعك فى هذه المرة ؟

وتظاهر ذو القبعة الخضراء بالاستياء ، ولكن الرجل لم يعبأ به وتحول الى عملاق كان منهمكا فى تنظيف الموقد وقال له :

ـ اهبط يا نيكولا وتأكد من ان سيفلوس لم يحضر وراءه رجال البوليس كما فعل فى شارع واتلنج . وفتح نيكولا الباب فى صمت ثم أخذ يهبط فى الظلام ، وكان يتوقف فى طريقه المرة بعد المرة ويرهف السمع . وعندما بلغ الدور الاول خيل اليه انه يسمع حركة فوقف .. وفجأة سطع ضوء قوى كاد يبهر عينيه ، وامسكت يد بمعصمه الايمن بينما اطبقت أخرى على رقبته فكتمت الصيحة التى كادت تفلت منه . ولم يلبث أن أحس بضربة شديدة بين عينيه افقدته الرشد .

ـ هذا حسن يا روجر . والآن اطفىء المصباح .

وفى تلك الاثناء كان هالام ملروز جالسا فى مكتبه يخاطب سيفلوس ورجلين آخرين قائلا :

ـ تعلمون أننا أصبنا بالفشل لاول مرة وذلك بسبب هولمز . وكان ينبغى أن يكون هذا الرجل ميتا فى هذه اللحظة ، غريقا فى قاع البحر ، ولكن بدلا من ذلك ها نحن لا ندرى شيئا عما أصاب قائد الطائرة وزميله بلير اللذين كلفا بقتله . وكل ما نعلمه هو انه جاءتنا رسالة من الزعيم يقول فيها انه ينبغى أن نبحث عن هولمز فى لندن وأن نقتله . وقد كلفتك أنت يا سيفلوس بهذه المهمة فلماذا عدت هكذا سريعا ؟

فأجابه ذو القبعة الخضراء : لقد نفذت ما امرتمونى به تبعته حتى عمارة كاسترى ثم قتلته برصاصة فى ظهره فى محطة دوبن ستريت . لقد مات هولمز ويمكنك ان تخبر الرئيس بذلك .

ــ حسنا يا سيلفوس . لقد أتممت عملك كما ينبغى وسوف يغتبط الرئيس .

ــ لقد قمت بالعمل المطلوب منى وكل ما اريده الآن هو مغادرة انجلترا قبل ظهر الغد ومعى المبلغ المتفق عليه .

ــ اتفقنا . سأقابل الرئيس الليلة وسوف ندبر أمرك . اننى انتظر اشارة ما بين لحظة واخرى .

فقال أحد الرجلين الآخرين : ــ وفرار رايموند هاى ؟

ــ فأجابه هالام ملروز :

ــ لقد تم على ما يرام . وامامه خمسة عشر يوما قبل ان تسقط عنا مسئوليته وعليه هو أن يدبر امره بعد ذلك . فلم بعد يهمنا امره ولا أمر جيز . ان ما يهمنا هو الصفقة الكبرى . ــ ولكن المبلغ الذى وعدت به مدام جيز ؟

ــ لقد وضعته مدام جيز فى الخزانة السرية بمكتبتها .. عشرة آلاف جنيه ، وعلينا ان نذهب لنستولى عليها الليلة .

ــ ولكن ما دام الفرار لم يتم !

ــ لقد ارغم ذو المفتاح مدام جيز على البقاء فى منزله واقنعها بكل لطف ولين ان تخبره اين وضعت هذا المبلغ . ونحن نعتبر ان الفرار قد تم على ما يرام .

وضحك هالام ملروز فضحك الرجال الثلاثة . واستطرد :

ــ ولكنى اعجب ما الذى دفع هولمز الى الذهاب الى عمارة كاسترى . فهناك يقيم اليوت لانج كما تعلمون . فهل اكتشف شيئا بخصوصه ؟ وهل تمكن من ابلاغ البوليس ؟ .. ان فى هذا كل الخطر علينا .

ودق جرس التليفون فى هذه اللحظة . ولم يحاول أحد أن يمد يده . وانقطع الرنين ثم ارتفع ثانية . واستمرت هذه

العملية خمس مرات . وقال هالام أخيرا :

ــ انه الرئيس . واذا دق الجرس ثانية بعد ثلاث دقائق فهذا معناه ان الطريق خال وانه يمكننى ان اذهب اليه .

وانتظروا وعيونهم معلقة على ساعة الحائط .

ودق جرس التليفون ثانية فنهض هالاوم وقال :

ــ انا ذاهب هلموا بنا ولكن لا يجب ان يتبعنى احد .. فأنتم تعرفون الأوامر ..

وادارو زر الكهرباء وبدأوا يهبطون الدرج . وفجأة توقف هالام ملروز وقال : ــ ولكن أين نيكولا ؟

ــ لا ريب أنه يقوم بالمراقبة امام الباب .

ولكن الممر كان خاليا . فتبادل الرجال الاربعة النظرات : وارهفوا آذانهم فسمعوا صوت تنفس متقطع يصدر من دولاب اعتاد البواب أن يضع فيه أدواته فاقترب سيلفوس منه وفتحه .. وما كاد يفعل حتى راى نيكولا بداخله وهو موثق اليدين مكمم الفم .

الفصل الحادى عشر ــ فى التليفون

صاح هالام ملروز فى لهجة الامر : فكوا وثاقه .. حالا .

وانتزع سيلفوس العصابة من فوق فم نيكولا وفك وثاقه ثم عاونه على النهوض وهو يسأله : ــ من فعل بك هذا ؟

ــ رجلان .. يرتديان ثياب السهرة ولا اظن انهما من البوليس ..

فقال سيلفوس وقد ومضت عيناه فجأة . لقد تذكرت الآن .. كانا معى فى الحافلة ولكنى لم اعرهما اهتماما لثقتى بانهما ليسا من رجال البوليس .

فالتفت اليه هالام ملروز وصاح به محنقا : اذن فقد جئتنا بالبوليس للمرة الثانية ؟ هل صعدا ؟ ــ ربما .. وينبغى ان نتأكد اولا انهما ليسا مختبئين فى شقتك .

فقال ملروز : هذا صحيح . اصعدوا انتم . اما انا فباق مع نيكولا .

وصعد سيلفوس وصديقاه وكل منهم ممسك بمسدسه وفتشوا جميع الاركان عبثاً وجميع الغرف التى تتكون منها شقة هالام ملروز حتى الممر السرى الذى يصلها بعمارة شارع والنج . ولكنهم لم يعثروا على أحد وراوا أن خير وسيلة هى العودة الى حيث ينتظرهم ملروز . وما كاد نور السلم ينطفىء والباب الخارجى يتصفق حتى همس صوت خافت يقول :

ـ تعال يا روجر . ان الطريق خال .

فبعد أن تخلص لوبين وصديقه من نيكولا اخذا يصعدان الدرج حتى اثار اهتمامهما صوت الحديث الذى كان يدور بين هالام ملروز واعوانه .

وكان لوبين بحكم تجاربه السابقة يعلم انهم سوف يعثرون على نيكولا فى الدولاب وانه ينبغى أن يهتدى الى مكان أمين يلوذ به فى اللحظة المناسبة .

وعثر روجر فى نهاية الممر على نافذة صغيرة تؤدى الى سطح العمارة المجاورة . فتركها مفتوحة حتى يتسنى لهما النجاة بواسطتها اذا اقتضى الأمر ثم لحق بلوبين .

وعندما دق جرس التليفون للمرة الثانية أسرعا الى النافذة وهما يحرصان على ان لا يصدر منهما اى صوت ينم عليهما ثم اغلقاها خلفهما .

ورايا الرجال الاربعة وهم يهبطون ولكنهما لم يغادرا مخبأهما اذ كانا يعلمان أن الرجال سيهتدون الى نيكولا . ولهذا لم تاخذهما الدهشة عندما رايا سيلفوس وصاحبيه يعودون شاهرين مسدساتهم .

وعندما هبط الرجال الثلاثة اخيرا بعد ان فرغوا من تفتيشهم فتح لوبين وصاحبه النافذة ووثبا منها الى الداخل وقال لوبين :

ـ لقد انصرفوا . . ابق بالباب ومعك مسدس لانج .

ثم راح يعالج قفل الباب بمطواته حتى لان له .

وفى اقل من دقيقة فتح الباب وأدار زر النور وراح يفحص

الغرفة قائلا : ان لهذا الرجل المدعو « ذا المفتاح » غاية يسعى اليها وقد صممت على معرفة هذه الغاية . وهذه الغرفة ليست مركزا عاما له ولكنها فرع هام . .

وبينما كان يتكلم راح يبحث بأصابعه بين الاوراق الموجودة فى ادراج المكتب . وكان يعيد بعضها الى مكانه والبعض الآخر يدسه فى جيبه .

ثم تحول الى الملفات وراح يفحصها دون ان يجد فيها ما يهمه .

وجاء دور الخزانة فجعل يعالج قفلها يمينا وشمالا ثم اللازمة . ومسح آثار أصابعه فى عناية تامة وهو يقول :

ـ لا ادرى ما ذا يوجد فى هذه الخزانة ولكنى اعرف ما يوجد فى الخزانة الاخرى ؟

ونظر روجر اليه بعينين متسعتين فاجابه لوبين ضاحكا

ـ الخزانة الموجودة بمسكن مدام جيز والتى تحتوى على عشرة آلاف جنيه . اذا كنا نحب ان نحصل عليها قبل ذى المفتاح فينبغى أن نسرع .

وكان يعيد ارتداء قفازه عندما دق جرس التليفون .

وانقطع الرنين ثم عاد من جديد . . وقال روجر . . انه ذو المفتاح .

الفصل الثانى عشر ـ اليوت لانج

ودق الجرس الثالث مرة فتناول لوبين السماعة فى هدوء ولم يلبث أن سمع صوتا خافتا يقول :

ـ هالو ملروز ! . . هل انت هالام ملروز ؟

فأجاب لوبين مقلدا صوت ملروز : هالو . . نعم ، انا هو . .

وفجاة سمع الآخر يعيد السماعة مكانها فالقى السماعة من يده . ونظر روجر اليه مستفهما وقال : ما الخبر ؟

ـ لا ريب انه اشتبه فى شيء . . ولعل التقليد لم يكن متقنا . ـ اطلب رقم تليفونه من السنترال . .

ـ لن يذكروه لنا . ومهما يكن فلست فى حاجة اليه لانى

عرفت الصوت . . هو صوت اليوت لانج .. لننصرف الان فليس لدينا ما نفعله هنا .

وكان سيلفوس مقتنعا بان الصديقين قد غادرا البيت ولذلك لم يترك أحدا لمراقبة الباب فأمكنهما الرحيل دون اية عقبة .

وبعد خمس دقائق كانت سيارة اجرة تقلهما الى بيكاديلي سيركوس بينما كانت ساعة كنيسة سان بول تدق الثانية عشرة .

وفى اثناء ذلك راح لوبين يفكر ويدبر .. ما الذى دفع هولمز الى زيارة اليوت لانج وهل مات هولمز حقا ؟ كان سيلفوس متأكدا من ذلك . وقد رآه لوبين يقع فى ممر محطة دوين ستريت واذا كان قد مات حقا فماذا ينبغى ان يفعل ؟ لم يكن هناك شك فى ان هالام ملروز من اعوان ذى المفتاح ، والغريب ان كل الذين يعملون معه من اليونانيين فما الغاية التى يسعون اليها ؟ وما هى الصفقة الكبرى التى تحدثوا عنها . ولماذا لم يعد يهمهم امر رايموند هاى وجيز ؟ والكابتن كافالاسوس .. انه يونانى هو ايضا .. كل هذا غريب .. لعله يعثر على مفتاح اللغز فى الاوراق التى سرقها من وكيل التأمين ودسها فى جيبه .

كانت هذه المغامرة من المغامرات التى يهفو لها قلبه .. وهى التدخل بين رجال البوليس واللصوص ، والحصول على ما يبحثون عنه دون ان يترك وراءه اثرا ثم تركهم بعد ذلك يتخبطون كما يشاءون ..

ولكن كان هناك شيء يحيره على الرغم من كل ذلك .. وهو ما دخل اليوت يونج فى هذه المسألة ؟.. لقد كان اليوت صديقا قديما .. وهو الآن يواجه متاعب خطيرة ، وهذا اكيد .. ولكن ما هى هذه المتاعب ؟ ان المعروف عنه انه من الاغنياء وقد ورث ثروة كبيرة .. ولكن هوايته واختراعه الذى يكرس له كل وقته كلفه غاليا ولا ريب انه الآن غارق فى

الديون .

وهو قد احب صوفيا كلاندون .. وابوها ، وهو من الاثرياء ، لن يرضى ابدا ان يزوج ابنته من رجل معدم لا يملك ثروة ما ..

كان لوبين يعرف كل ذلك .. ولا ريب أن اليوت ارتكب حماقة ما فى سبيل الحصول على ما يريد من المال .. وهذا هو سبب الرعب الذى تملكه عند زيارة هولمز له .

ولكن اليوت لم يبد عليه انه فهم شيئا من اسئلة هولمز بخصوص ذى المفتاح .. ولوبين متأكد من هذا .. ومع ذلك فهناك صلة تربطه بهالام ملروز الذى هو من اعوان ذى المفتاح بلاشك والا فلماذا اتصل به بالتليفون ولماذا اعاد السماعة عندما اشتبه فى صوت محدثه ؟.. لسوف يسأله لوبين فى ذلك وسوف لا يتركه حتى يفوز منه بجواب شاف ..

وتردد وهو يسائل نفسه أليس من الاوفق أن يذهب راسا الى عمارة كاستلرى ويتحدث الى اليوت ؟.. ولكن العشرة آلاف جنيه الموجودة فى خزانة مدام جيز وكانت تحتل كل تفكيره ، ولم يكن يريد أن يضيع الوقت سدى وقد عقد النية على الحصول عليها ، وسوف يكون فى استطاعته بعد ذلك زيارة اليوت فى صباح اليوم التالى فى حين ان النقود لن تنتظر .. وأوقف السيارة امام فندق بيكاديلى دون أن يدرى انه ارتكب أكبر خطأ فى حياته ..

* * *

اعاد اليوت لانج السماعة مكانها وقلبه يخفق بشدة ترى من الذى كان فى مكتب هالام ملروز قبل منتصف الليل بعشر دقائق ؟.. يحاول ان يقلد صوته ؟ أهو البوليس أم .. شرلوك هولمز ؟..

كان فى موقف لا يحسد عليه وبدأت اعصابه تخونه بعد أن ظل مسيطرا عليها طيلة الاسابيع الاخيرة .. لسوف ينتهى الامر الى القبض عليه .. أولا بسبب التزوير الذى ارتكبه .

نعم ، هو اليوت لانج اصبح مزورا وان كان أحد لا يعرف ذلك بعد .. ومع ذلك فقد حسب أن هولمز قدم لهذا الفرض .. ثم هناك هذه المسألة التى تربطه بملروز والتى اشترك فيها متخبطا ومدفوعا بحاجته الملحــة الى النقــود ، على أمل أن يصلح الخطأ الذى ارتكبه بتزويره .

كان يعلم حق العلم أن ملروز شقى لا يتورع عن شيء والا ما عرض عليه هذا المبلغ الضخم للخــدمة التى طلبها منه . ولكن ما علاقة ملروز بذى المفتاح ؟. انه لم يشك فى وجود هذه العــلاقة حتى اللحظة التى ألقى هولمز فيها أسئلته فأثارت ريبته وجعلته يفكر .

وكانت هناك طريقة واحدة يمكنه أن يتأكد بها ، وهى أن يسأل ملروز .. وادار رقم التليفون اذ لم يكن يعرف أين يتصل به بعيدا عن المكتب ، ولكن رد عليه صوت آخـر .. صحيح انه يشبه صوت ملروز الى حد ما ، ولكنه مع ذلك لم يكن صوته .. فهل ألقى القبض على ملروز ..؟

واذ حملته افــكاره الى لوبين داخــله نوع من الهــدوء وتناول سماعة التليفون واتصل بالفندق ولكنه علم انه خرج وروجر ولم يعودا بعد .

ووضع السماعة . وما كاد يفعــل حتى سمع صــوتا خلفه يقول: — من هما هذان الرجلان ؟

والتفت اليوت لانج على الفور فزعا .. ورأى هالام ملروز واقفا امامه ومظلته فوق المكتب .

وقال له هذا الاخير : لقد جاءك هولمز اليوم فماذا كان يريد ؟ أصدقنى القول والا فحبل المشنقة فى انتظارنا جميعا.

الفصل الثالث عشر — الى أثينا

سرد اليوت لانج على هالام ملروز كل ما جرى له فيما عدا محاولته الانتحار .. واعترف له ان شخصا ثالثا كان حاضرا استجواب هولمز له .

وسأله ملروز فى اهتمام : ومن هو هذا الشخص ؟

— هو الرجل الذى كنت أتحدث اليه عندما دخلت انت . وهو صــديق لى اسمه أرسين لوبين . كان يتنــاول العشاء معى هو وصديقان آخران .

فحدق ملروز فيه مليا ثم قال :

— وعندما خــرج هولمز هل دنا لوبين من تلك النافــذة ليتأكد من انه غادر البيت . — نعم ..

— وهل انصرفا بعد رحيل هولمز توا ؟

— نعم .. ولكنى طلبتك بالتليفون ورد على شخص خيل الى انه يحاول تقليد صوتك .

تجهمت أسارير ملروز . وفجأة مد يده وتناول السماعة وادار رقم تليفونه . وبعد لحظة ومن غير أن ينطق بحرف أعاد السماعة وقال :

— لقد اتصلت بمكتبى الآن . ولم يرد على احد فلا ريب ان صديقيك انصرفا .

— صديقاى ؟.. — نعم .. لوبين وروجر .

— ولكن .. اصغ الى ، لقد كنت تتحدث مع فندق اليانى عندما دخلت ولم يكن لوبين هناك .

— نعم .. قيل لى انه خرج ولم يعد بعد .

— الساعة الآن الثانية عشرة وعشرون دقيقة ولا ريب انه عاد من الخارج فاطلبه ثانية وعندما يرد عليك لا تنطق بأى كلمة وأعد السماعة . فدهش لانج ولكنه أطاع .

— حسنا .. هل عاد ؟

— كان فى طريقــه الى المصعـد . وقد سألنى البواب أن انتظر ريثما يستدعيه وسمعته يناديه فأعدت السماعة .

— هذا حسن .

— ولكن ينبغى أن أخبرك اننى سألت البواب منذ هنيهة أن يدع لوبين يتصل بى بمجرد عودته . وسوف يتحدث الى من وقت لآخر . — بل سوف يجد الخط مشغولا .

وادار ملروز رقما معينا ثم التفت الى لانج وقال له :

ـ اذهب وانتظرنى فى الغرفة المجاورة فسوف اتحدث حديثا خاصا .. ارتد معطفك وقبعتك لأنك سوف تخرج معى .. لا تلق أى سؤال ، واطعنى اذا كنت لا تريد أن يتارجح جسمك فى حبل المشنقة .

وتحول الى التليفون فقال : انا ملروز لا تقطع المكالمة .

وانتظر حتى انصفق الباب خلف لانج ثم استطرد يقول :

ـ اصغ الى .. انا فى مسكن لانج فى هذه اللحظة . وقد اجتمعت بالرئيس دقيقتين فارسلنى الى هنا لأحاول ان اعرف ماذا كان يريد هولمز .. وقد عرفت كل شىء الآن كما عرفت الآن من هما الشابان اللذان يرتديان ثياب السهرة . صه . لا تلق أى سؤال واصغ فقط لقد سمعا حديثنا وعلى الخصوص بضع ملاحظات عن خزانة بركلى ستريت ولا يدهشنى اذا كانا قد قاما بزيارتها الليلة .. أتفهمنى ؟

واصغى بضع لحظات وعيناه تحدقان بالباب ثم قال بصوت خافت : هذه الليلة .. نعم ، دون اضاعة دقيقة واحدة .. والافضل ان تقتلوهما .

واعاد السماعة وذهب الى الباب ففتحه وهو يقول :

ـ هل انت مستعد يا لانج ؟

ـ نعم ولكنى اود ان أعرف الى اين نمضى ولماذا ؟

ـ انت تعمل لاجلى يا لانج وسادفع لك مبلغا ضخما . وقد اخبرتك من اول الامر ان المسألة ينبغى ان تبقى فى طى الكتمان وان هناك خطرا ، وان زيارة هولمز ترغمنا على ان نسرع اكثر مما كنا نوى ، وسأذكر لك السبب فيما بعد . لقد طلبنا منك ان تقوم بعمل خاص وعندما يتم هذا العمل ستأخذ المبلغ الموعود . وقد ازفت الساعة فاطع ولا تلق اى سؤال ..

وبعد بضع دقائق قال لانج مستفهما : انحن ذاهبان الى مصنعى ؟ نعم .. هل كل شىء على استعداد ؟

ـ بل على تمام الاستعداد .. وقد اخبرتك بذلك

وبعد نحو خمسة كيلو مترات انعطفت السيارة الى طريق قفر ولم تلبث ان توقفت أمام كوخ منعزل . وفتح السائق الباب واغلقه خلفهم وصعدوا سلما من الخشب . وفجأة فتح الباب وبهرهم ضوء منبعث من مصباح كهربائى ثم ارتفع صوت يقول : ـ حسنا يمكنكم أن تدخلوا .

فضحك ملروز وقال : اراك امينا على عملك يابروناتوس .

فزمجر الآخر : أتريدون الذهاب الى المصنع ؟

واحنى ملروز رأسه . ففتح الرجل بابا ولم يلبثوا أن القوا انفسهم فى غرفة كبيرة مملوءة بمختلف الادوات . وفى احد أركانها قبع شىء ضخم مغطى بملاءة كبيرة .

واشار ملروز اليه وسأل : هل فرغت منه ؟

فأجابه لانج : نعم .. وهو الوحيد من نوعه فى العالم كله. وكان يتكلم فى كبرياء الصانع الفخور بعمله .

ـ اذن اصغ الى . سوف تقضى الليلة هنا وغدا صباحا ستأتى سيارة نقل لتحملك انت واختراعك . وغدا مساء ستقومان بالعمل المطلوب منكما .

ـ امعنى هذا انى لن استطيع العودة الى منزلى ؟

ـ تماما . فقد مات هولمز مقتولا ولا ندرى ان كان قد تكلم قبل موته أم لا . ومهما يكن فليس من الحكمة ان ننتظر . ثم ان هناك صديقك لوبين وهو يعرف الكثير ، وهو شديد الخطر ايضا . وينبغى أن تختبىء منه اذا لم يقع فى الشرك الذى نصبناه له . ـ شرك ؟ .. للوبين ؟ ..

ـ نعم .. فهو مغامر افاق كما تعرف .. وهو يحاول فى هذه اللحظة ان يخدعنا ولكنه سوف يندم . والشرك منصوب له فى بيت ما ببركلى ستريت ، واذا لم اخطىء فسوف يلقى فيه حتفه .

فتمتم لانج وقد جمدت اطرافه :

ـ وهل .. هل اهتديتم الى أثره من حديثى معكم ؟

ـ تماما .. فقد تكلمت كثيرا يا صاحبى .

رفع لانج يده واهوى بها على فم ملروز .. وترنح الرجل
وسقط على الارض فاسرع البوت لانج الى الباب . ولكن
روناتوس الحارس اندفع نحوه واحاطه بذراعيه ، واشتبكا
لحظة فى صمت وفجاة .. اصابت لانج ضربة شديدة على
رأسه بمفتاح حديدى ضخم كان يمسك به سائق ملروز .
ففقد الشاب توازنه ووقع على الارض فاقد الوعى .
ونهض هالام ملروز وسار الى الجهاز وقال :

ـ انظر الى هذا الجهاز يا فريد .. انه من اختراع لانج
صنعه من المعدن الخفيف وهو من القوة بحيث يصمد لكل
التجارب . ويمكن الهبوط به الى قاع البحر للبحث عما تريد
والقى نظرة طويلة الى لانج ثم قال للسائق :

ـ ارجو الا تكون قد اصبته بضرر كبير . فما زلنا
بحاجة اليه . وينبغى ان يكون من القوة بحيث يتمكن من
تجربة اختراعه والغوص به .

ـ لا خطر من هذه الناحية ..

ـ هذا حسن . ابق هنا مع برناتوس وسأعود وحدى
الى المدينة . وغدا حوالى الظهر ستاتى سيارة نقل فاشدد
وثاق هذا الشاب وابعث الى اثينا .

الفصل الرابع عشر ـ الشرك

عندما دلف لوبين وروجر الى ردهة فندق البانى استوقفهما
كاتب الاستعلامات قائلا :

ـ هناك من يطلبك بالتليفون يا سيدى .

فسأله لوبين : ومن هو ؟

ـ اعتقد انه هو نفس السيد الذى سأل عليك منذ
لحظة واسمه مستر لانج ، وهو يرجوك أن تتصل به بمجرد
عودتك .

فتناول لوبين السماعة وادار رقم لانج واصغى هنيهة ثم
اعاده مكانه قائلا :

ـ ان الخط مشغول .. سأذهب لزيارته بعد هنيهة ،

لنصعد اولا لاحضار سجائرنا .

وعندما خرجا ثانية كانت الساعة تدق النصف بعد الثانية
عشرة . وقال روجر مستفهما : هل تنوى حقا زيارة لانج ؟

ـ كلا .. لقد قلت ذلك امام البواب فقط .. لا ريب ان
البوت كان يريد أن يفضى الى بمتاعبه .. وسوف اسمعه
بكل سرور غدا صباحا .. اما الليلة فامامنا عمل هام .

وكان قد دس فى جيبه بضع آلات دقيقة كان يستعين بها
دائما فى فتح الخزائن الحديدية ومسدسا ، وكذلك اخذ
روجر مسدسه .

وتحقق لوبين من عنوان مدام جيز من دليل التليفونات
فوجد انها تقطن بالمنزل رقم ٤ مكرر ببركلى ستريت .. ولكن
بدلا من الذهاب الى العنوان المذكور راسا تحولا الى الجهة
المضادة ودخلا ناديا بشارع شاتسبورى وخرجا بعد هنيهة
من الباب الخاص بالخدم ودخلا ناديا آخر فى حى سوهو
وغادراه من الباب الخلفى ايضا .

وقبيل الساعة الثانية كانا قد عادا الى بركلى ستريت ..
وكانت الحديقة شاغرة وقد راحت المصابيح الغازية ترسل
ضوءها الباهت فلا تكاد تبدد سحب الضباب .

وبعد دقيقة كانا فوق سطح البيت المنشود ، وتمدد
روجر على صدره واخذ ينظر حواليه فاحصا بينما جعل لوبين
يعالج زجاج احدى النوافذ .. وما هى الا لحظة حتى احدث
ثغرة صغيرة فى الزجاج مد منها يده وادار المقبض وفتح
المصراع وتمكن الصديقان من الدخول الى مسكن مدام جيز
وتمتم لوبين : اظن ان غرفة المكتبة بالدور الارضى .

واخرج مصباحه من جيبه وسلط اشعته على الدرج ،
ولما لم ير احدا اطفأ النور وهبط هو زميله فى صمت .

وعندما بلغ الردهة وقف فجاة اذ خيل اليه انه يسمع
صوتا غريبا ، صوتا أشبه بصيحة مكتومة همس لم يلبث
ان انقطع .

وكانت الردهة تسبح فى ظلام دامس . ولا ينساب من ابواب الغرف اى بصيص من النور . وتقدم لوبين فى حذر . ولمست يده بابا فتح تحت ضغط أصابعه وكان باب دولاب كبير تحت السلم يستعمل فى وضع الثياب . وتسلل الشابان داخله فى صمت واغلقا الباب خلفهما وهما يحرصان على تركه مواربا قليلا .

وكان البيت فى هذه اللحظة ساكنا لا ينبعث منه صوت ، ولكن الصيحة المكتومة والهمس الذى انقطع كانا وحدهما اكبر دليل على ان فى البيت اناسا غيرهما .

واشتم لوبين رائحة شرك .. ولكن من الذى اعده ؟ .. اهو ذو المفتاح ؟ .. وهل جاء قبله ؟ .. اذا كان الامر كذلك فمن ينتظر ؟ .. انه لا ينتظر لوبين طبعا لانه لا يعرف شيئا عنه .. أم ترى فى البيت شخص آخر يترصد ذا المفتاح نفسه ؟

وضغط لوبين على قبضة مسدسه وانتظر ... ومرت دقيقتان .

وسمع همسا آخر ثم صوت باب يفتح ووقع اقدام رجل يجتاز الدهليز فى حذر .

واحس فجأة بالعرق يتصبب على وجهه .. ادرك انه وقع فى الفخ كفر مأفون .. ولا ريب الآن انهم سمعوه وهو يقتحم البيت فادركوا انه قادم للاستيلاء على النقود واختبأوا فى انتظاره . اما الصيحة المكتومة فقد صدرت طبعا من الرجل الذى تركته مدام جيز لحراسة البيت . ولا ريب انهم اوثقوا يديه وكمموا فمه والقوا به فى غرفة المكتبة .. وهذا يدل على ان اعوان ذى المفتاح هم الذين قاموا بهذا العمل وقد جاءوا قبله وفتحوا الخزانة واخذوا الظرف الذى يحتوى على النقود ثم قبعوا فى انتظاره .

وبلغ الرجل أول درجة من درجات السلم . وفجأة سمع لوبين صوت زنبرك ولم يلبث أن سطع ضوء قوى منبعث من

مصباح كهربائى فى أعلى السلم اخذ ينتقل فى انحاء الدهليز

وراى لوبين وهو فى مخبأه الرجل يبتعد عن دائرة الضوء ويرتد وهو يتحسس الحائط . ولمست يده باب الدولاب وشعر به يفتح فتسلل داخله متقهقرا . وفى لمح البصر احاط لوبين عنقه بيده بينما أطبق روجر على ساقيه بذراعيه وشل حركته . وهمس لوبين يقول فى اذنه : اذا نطقت بكلمة واحدة سوف تموت .

ودوى طلق نارى .. فقد أطلق بعضهم الرصاص على الرجل الموجود فى اعلى السلم فانطفأ النور على الفور وأسرع الرجل الى النافذة ثم نفخ فى صفارة معه .

وتمتم لوبين وهو يدفع بالرجل الى وسط الردهة فى عنف : لنخرج .

وعاد الواقف فى اعلى الدرج فاضاء مصباحه مرة اخرى . ووقعت اشعته على الرجل الذى دفعه لوبين فى وسط الردهة فعرفه لوبين على الفور .. كان هو سيلفوس .. ودوت طلقتان من الدور الاول ولم يتحرك سيلفوس . وانطفأ النور .

وهمس لوبين يخاطب صديقه :

ــ انه لن يجرؤ على اضاءة النور مرة اخرى خوفا من ان يجعل نفسه هدفا لرصاصهم وهناك باب للخدم فى الناحية الاخرى فهيا بنا نفر منه .

فأسرع روجر وخلفه لوبين ودوت فى هذه اللحظة طلقتان من الدور الاول أجابتها طلقات متتابعة من الدور الارضى ، وسمعت خطوات كثيرة فى الخارج ولم يلبث ان دوى الطرق على الباب الخارجى .

وفى هذه الاثناء كان لوبين وروجر قد اجتازا المطبخ وهما يركضان ووجدا نفسيهما امام باب أفضى بهما الى فناء صغير مملوء بالصناديق الفارغة .

وتسلقا الحائط وبعد عشرين دقيقة بلغا شارع ريجنت ودخلا نفس النادى الذى كانا فيه أول الليل وطلب كل منهما

كأسا من الويسكي .

ومن هنــاك قصدا منزل صديق لهما اسـمه بيترفان وافرغ لوبين جيوبه فوق المنضـدة ... فالقى فوقهـا الادوات الصغيرة التي يسـتعملها دائما في مغـامراته الليلية والاوراق التي عثر عليها في مكتب هالام ملروز .

وسأله بيترفان هيست : اهذا كل شيء ؟

فاجابه لوبين وهو يلقي اليه ظرفا ضخما مختوما بالشمع الاحمر : اليك هذا ايضا انه يحتوي على عشرة آلاف جنيه . أو هذا على الاقل ما أعتقده . فارجو أن تتحقق بنفسك .

وبينما كان الهولندي يعد النقود نظر روجر الى لوبين دهشا وقال : ما معنى هذا ؟

فابتسم لوبين واجاب : معنـاه بسيط .. فبينما كنـا نحتفظ بالرجل في الدولاب تحسست جيوبه لعلي اجد المال معه . وقد خدمني الحظ كما ترى .. ؟

ـ انه يحتـوي على عشرة آلاف جنيـه تماما .. وهي اوراق حقيقية غير زائفة .

ـ حسنا احتفظ بها عندك حتى يأتيك خبر مني . فان قلبي يحدثني اننا لم نفرغ بعد من هـذه العصابة واننا قـد ندفع غاليا ثمن غنيمة الليلة .

الفصل الخامس عشر ـ اليونانيون الاربعة

كان هناك من الاسباب ماجعل لوبين يبدي هذه الملاحظة . واولها هذا الفخ الذي كاد يقع فيه ؟ اذ كيف عرف ذو المفتاح أن لوبين سيقوم بزيارة مسكن مدام جيز هو وصديقه روجر؟ أيمكن ان يكون بعضهم قد اكتشف امرهما بينما كانا يوثقان نيكولا ، أو اثناء انصاتهما لحديث هالام ملروز ؟ اذا كان الامر كذلك فسوف يحاول ذو المفتاح أن ينصب لهما شركا آخر .

وثمة سبب اخر وهو ان الرجل الذي نفخ في الصـفارة دخل من نفس الطريق الذي دخلا منه .. اي من النافذةالتي تركاها مفتوحة . ومن الجائز انه رآهما . بل لعله كان يقتفي

اثرهما منذ وقت طويل . ومع ذلك فلم يكن هناك ما يحدو برجال البوليس الى اقتفاء اثره لانهم يجهلون مقره ولم يكن هناك غير جواب واحد على ذلك وهو ان هولمز لم يمت وانه هو الذي نفخ في الصفارة .. ولم يخطيء لوبين في استنتاجه هذا .. فان رصاصة سيلفوس اخترقت معطف هـولمز وجرحت كتفه وقد وقع هولمز على الفور .

وكان قد وقع بحيث ادار وجهه ناحية المترو فاستطاع ان يرى لوبين وروجر في العربة الاخيرة .

ولم يخطر بباله قط ان لوبين او روجر هما اللذان اطلقا عليه الرصاص اذ ان العربة التي تقلهما مرت امام الممر الذي سقط فيه بعد اطلاق الرصاصة عليه . وقد استنتج من ذلك انه كان هناك من يقتفي اثره . ومما لاشك فيه أن لوبين اطل من مسكن اليوت لانج فلما راى انه متبوع اسرع بدوره يقتفي اثر تابعه ، ولكن لماذا ؟

وكانت فكرة هولمز هي ان يامر بالقاء القبض على كل من يهبط من المترو في المحطة التالية ولكن سوء الحظ كان يلازمه فعندما رد عليه ناظر المحطة التالية تليفونيا كان القطار قـد غادرها .

وبعد ان ترك هولمز رسالة تليفونية للكولونيـل سبتس باسكتلانديارد واخرى لمساعده الدكتور واطسون قصـد طبيبا من اصدقائه يضمد جرحه . ومضى من هناك الى فندق البانى وقبع بباب بيت مجـاور وطفق يفحص النزلاء الذين اخذوا يتوافدون .

وبعد ان انتصف الليل مر لوبين وروجر امامه . ومـع انه كان متلهفا على استجوابهما فقد انتظر بضع دقائق ليتأكد مما اذا كانت عودتهما هذه نهائية . ولم يلبث بعد ربع ساعة ان رآهما يخرجان فتبعهما حتى مسكن مدام جيز بركلي ستريت .. ولما كان على علم تام بوسائل لوبين واساليبه فقد ادرك انه سيحاول اقتحام البيت من احدى نوافذ الدور الاول

وقد صح ما توقعه فانتظر حتى اختفيا داخل البيت ثم تسلق فى اثرهما النافذة التى تركاها مفتوحة .

وكان قد هبط بضع درجات عندما سمع حركة خفيفة صادرة من الدور الارضى فاشعل مصباحه ورأى على هدى ضوئه بابين مواربين فتح احدهما فجأة وانطلقت منه رصاصة استقرت فى الحائط خلفه ، فاطفأ مصباحه على الفور وجرى وهو منحن حتى النافذة ونفخ فى صفارته مستنجدا بالبوليس ثم عاد الى مكانه عند قمة السلم .

وفى هذه اللحظة سمع اقداما تجتاز الدور الارضى ركضا فأشعل مصباحه واطلق مسدسه وطاشت الرصاصة فاطلق غيرها أصابت الرجل فى ساقه ثم اطفأ المصباح وطرح نفسه ارضا حتى لا يصاب بشىء .

وخيل اليه مرة أخرى انه يسمع شخصا يجرى فاطلق رصاصة على غير هدى اجابته عليها طلقات اخرى متتابعة ما كادت تنقطع حتى دوت على الباب دقات شديدة فصاح رجل : سلموا انفسكم فان البيت محاصر .

واجابه صوت من الدور الارضى يقول : اننا نسلم .

فاضاء هولمز مصباحه وقال : القوا اسلحتكم على الارض وتقدموا رافعى الايدى .

والقيت ثلاثة مسدسات وتقدم ثلاثة رجال رافعى الايدى وتخطوا جثة زميلهم الرابع .. وكان كل منهم يخفى اسفل وجهه بمنديل .. وادرك هولمز من اول نظرة ان لوبين وروجر ليسا بينهم . ومع ذلك فقد رآهما يدخلان . وقد عرف الان كيف هربا . ولكنه لم يكن يستطيع شيئا ضدهما لانه لا يملك ما يدينهما .

وقال يخاطب الكولونيل سبنس بعد نصف ساعة : سوف تقول لى اننى فقدت اثرهما خلال الضباب او اننى مزجت بينهما وبين غيرهما . ولكن لماذا اقتحما هذا البيت ؟

ـ للحصول على المال طبعا .. فقد استجوبنا رئيس

الخدم فقال انه سمع حركة فهبط ليتحقق من الامر فلم يشعر الا وقد هاجمه اربعة رجال امسكه اثنان منهم بينما كممه الثالث واوثق يديه .. اما الرابع فقد سار الى خزانة مدام جيز ففتحها واخذ منها ظرفا ضخما أزرق ثم اطفأوا النور ووقفوا صامتين كما لو كانوا يترقبون احدا .

ـ اتعنى لوبين ؟

فقال الكولونيل سبنس : ان الرجال الاربعة الذين القينا القبض عليهم اليوم هم من اليونانيين ايضا .

ـ نعم .. ولا ريب ان هناك صلة .. احضر لى ملف قضية كافالاسوس فانى أحب ان ادرسها دراسة وافية .. وثمة سؤال آخر .. عندما ابرقت اليك واخبرتك اننى على قيد الحياة هل أطلعت احدا على ذلك ؟

ـ نعم .. مساعدك الدكتور واطسون والمفتش هويل والمفتش شيفرون . لماذا ؟ ..

ـ لان ذلك سبب ازعاج ذى المفتاح ودفعه الى الاقدام على خطوة يائسة . وسوف اخبرك بذلك فيما بعد .. اما الان فدعنا نستجوب هؤلاء اليونانيين الاربعة .

وفى نهاية الاستجواب احتل البوليس مكاتب هالام ملروز ومسكنه ولكن الرجل نفسه لم يظهر له اثر . ولم يكن الرجال الاربعة يعرفون شيئا يذكر فقد كان هالام ملروز حلقة الاتصال بينهم وبين ذى المفتاح .. اما ذو المفتاح نفسه فلم يروه قط وكذلك لم يسبق لهم ان رأوا لوبين او مساعده .

وقضى هولمز بقية الليل فى دراسة الملف الذى طلبه بينما كان لوبين وروجر يتمتعان بنوم عميق لا يعرفه الا الابرياء ، وبينما كان مساعد ربان السفينة اليونانية التى سترحل فى اليوم التالى يحث رجاله على تموينها بالفحم .

الفصل السادس عشر ـ جريمة فنية

كان هولمز لا يزال عاكفا على دراسة قضية الربان كافالاسوس عندما جىء له بطعام الافطار ودخل مساعده

الدكتور واطسون ومضى يقول :

ـ هل قرات صحف الصباح ؟ انها حافلة بقصة فرارك المزعوم وقد ضقت ذرعا بالصحفيين اذ تجمعوا امام الباب يحاولون الدخول لمعرفة ما حدث .

روى هولمز لمساعده ما حدث له فى كلمات قلائل ثم اردف

ـ انني واثق من ان لوبين اخذ النقود ولكنى لا املك ضده اى دليل واذا بقى هادئا فلن استطيع شيئا حياله ولكن منذ ان قرات هذا « ونقر باصبعه على ملف القضية » وانا لا اعتقد انه سيرضى بالبقاء بين الكواليس . ولهذه المناسبة علمت انك قد حضرت اجتماع لجنة مصلحة السجون ببولدرمور التى حققت فرار جيز ، فمن هم الاعضاء الذين حضروا هذا الاجتماع ؟

ـ الاستاذ مورفي والدكتور رينج وقد عاد لتوه من التفتيش بالشمال وماركوس سكوت والجنرال مربون .. وهؤلاء هم الاربعة الذين تمكنت المصلحة من الاتصال بهم فى مثل هذا الوقت الوجيز . وكانوا حانقين على الماجور فانتج والكولونيل سبنس وعليك انت ايضا لانك لم تخطرهم بمغامرتك قبل ان تقدم عليها . وقد اغتبطوا على كل حال عندما علموا انك نجوت وخرجت من المغامرة سالما .

ـ لو انني فشلت لاقيل فانتج حتما . ومن يدرى . . ربما سبنس ايضا .. حدثنى بكل ما جرى هناك .. ولما فرغ واطسون قال هولمز :

ـ ان هالام ملروز وكيل تامينات بحرية ، واول الرجال الذين هربهم ذو المفتاح هو الربان زنتل كافالاسوس .

وتناول ورقة كان قد دون عليها بضع ملاحظات بالقلم الرصاص وقرا منها :

« كان زنتل كافالاسوس واخوه زيلن يملكان سفينة صغيرة تعرف باسم « الباكسو » حمولتها ثلاثة الاف طن . وقد امنا عليها قبل ان تقوم برحلتها الاخيرة وهالام ملروز هو

الوكيل الذى ابرم عقد التامين » .

ثم قال : والان ينبغى ان نستعرض شيئا من التاريخ الحديث .. اتتذكر اسم الزعيم الحبشي الذى دافع عن العاصمة الحبشية ذلك الدفاع المجيد الذى مكن الامبراطور من افلاتها ؟ ـ الم يكن هو الراس خافا ؟

ـ هذا صحيح .. الراس خافا ولكنا نعلم انه كان اغنى من الامبراطور نفسه كان واثقا بانهم سيخسرون الحرب ، وكان شديد القلق على كنوزه ، وقد تمكن ابنه دبنجالى خافا من اخراج هذا الذهب من الحبشة ونقله الى تاجورا ، وهى ولاية صغيرة تقع بين الصومال الفرنسي والاريتريا الايطالية . واخفى الذهب بعناية فائقة بينما كان يتفاوض فى نقله على الباخرة الباكسو مع زيلن وزنتل كافالاسوس اللذين كان ينبغى عليهما ان ينقلا هذه الشحنة من الذهب الى لندن عن طريق اثينا ، وكان الكنز موضوعا فى ثمانية وعشرين صندوقا وقد قدرها الخبراء بما يوازى ثلاثة ارباع المليون من الجنيهات وامن الاخوان كافالاسوس على هذه الشحنة . فاتصلا بشركة لويد . وقبلت الشركة التامين وانابت عنها هالام ملروز لابرام العقد . وكان هذا الاخير خبيرا بهذه الشئون . وقد اشترطت شركة لويد ان ترسل مندوبا عنها ليتحقق من الصناديق وليضع عليها اختام الشركة . وكانت قيمة قسط التامين مرتفعة جدا .

وقد دفع الاخوان كافالاسوس القيمة المطلوبة فى غير تردد واصبح عقد التامين نافذ المفعول . ونقل الذهب الى الباخرة وبعد ان عاين مندوب الشركة الصناديق ووضع عليها اختامها غادرت الباخرة المياه الافريقية يرفرف عليها العلم الانجليزى وعبرت الباكسو قنال السويس . وكان مؤمنا عليها بستة عشر الفا من الجنيهات وعلى حمولتها بسبعمائة وخمسين الفا ولكنها لم تصل الى اثينا قط . فقد غرقت فى البحر . وجاء فى التقارير الرسمية ان غواصة ايطالية ضربتها بطوربيد .

ولم يكن هناك غير ضحية واحدة هو المساعد الثانى جودفرى جاسكل الانجليزى الجنسية .

فقال واطسون : لقد بدات اذكر هذه القضية .

ـ حسنا . لقد رفضت شركة التامين ان تدفع محتجة بانه كان فى الامر خدعة وان الصناديق لم تحتو على ذهب قط وان الباخرة اغرقت بفعل صاحبها . وكان الراس خافا قد مات قتيلا فى معركة اديس ابابا ولكن ابنه دبنجالى رفع قضية ضد شركة التامين ووقف الاخوان كافالاسوس الى جانبه . وكاد الحكم يصدر فى صالحهم عندما تدخل شاهد جديد هو ربان باخرة فرنسية صغيرة راى الباخرة « الباكسو » وهى تغرق وشهد بان قاع المركب لم يصبه اى طوربيد وان المكان الذى ادعى الاخوان كافالاسوس ان الباخرة غرقت فيه يبعد عن المكان الحقيقى الذى وقع فيه الحادث بخمسة عشر ميلا

و لم ترفض دعوى الشاكين فقط وانما ذكر القاضى فى حيثياته ان « الباكسو » اغرقت بتدبير صاحبها وانه تبعا للقانون الجديد الذى نص على ان الربان الذى يغرق باخرته متعمدا وينتج عن هذا الغرق موت احد رجاله يعتبر «مجرما فنيا » فانه يأمر بالقاء القبض على الاخوين كافالاسوس وعلى دبنجالى خافا وكذلك على مساعد الربن جريجوريوس سبيروس بتهمة قتل جودفرى جاسكل . وبرئت ساحة دبنجالى بعد ذلك اما الاخوان كافالاسوس فقد حكم على كل منهما بعشر سنوت وعلى جريجوريوس سبيروس بسبع سنوات

ـ وبقية البحارة ؟

ـ اختفوا . . وكانوا كلهم من اليونانيين ايضا . اما دبنجالى خافا فكلما تعمقت فى دراسة هذه القضية زدت يقينا بانه كان سليم النية ، فهو الذى دفع الاخوين كافالاسوس الى مقاضاة الشركة بينما كان ينبغى ان يقاضياها من تلقاء نفسهما لانهما اللذان ابرما عقد التامين ويبدو ان هذا الذهب موجود حقا وانه لا يزال حتى الان فى الصناديق . ولكن اذا صح ذلك

فلماذا اغرقوا الباخرة بحق الشيطان .

ـ دعنا نفكر جيدا على هدى ما لدينا من المعلومات . . اولا بعد ان سجن الاخوان كافالاسوس وسبيروس بستة اسابيع قتل دبنجالى خافا فى مرسيليا ولم يعرف قاتله قط . ثانيا ان اول تهريب قام به ذو المفتاح هو فرار زنتل كافالاسدس. ثالثا ان لاليوت لانج كما علمت اليوم ولعا كبيرا بصنع جهازات خاصة يتمكن المرء بواسطتها من الغوص فى اشد بقاع البحر عمقا وفى البقاء تحت الماء مدة طويلة .

ـ فهمت الان صلة اليوت لانج بالقضية .

ـ ولعلك فهمت ايضا لماذا قلت ان صديقنا لوبين لن يبقى مكتوف اليدين .

بعد عشر دقائق كان الدكتور واطسون فى طريقه الى قصر كاسلرى وكانت المعلومات التى لديه هى ان يهتدى الى اثر لانج وان يتبعه كظله . اما هولمز فقد ذهب الى صديق له خبير باعمال التامين فعلم منه ان هالام ملروز هو الوحيد من بين جميع وكلاء شركات التامين الذى افتى بان تدفع الشركة كل المبلغ المؤمن به . ولكن شركة لويد رفضت طلبه وكان اقصى ما عرضته أن تدفع ثلث المبلغ وقد رفض المدعون .

واوضح له الخبير على خريطة بحرية الموضع الذى قيل ان الباخرة غرقت فيه والموضع الاخر الذى اغرقت فيه حقا سأله هولمز : الم يحاول احد تعويم السفينة ؟

ـ وما الفائدة ؟ انها لم تكن تحتوى على اية جثة فقد قرر الشهود ان جاسكل غرق وثبت من التحقيق ان الصناديق كانت فارغة واذن فلم تكن هناك اية فائدة من تعويمها .

وغادر هولمز صديقه وذهب الى سكوتلانديارد وهناك قيل له انهم لم يعثروا بعد على ملروز وان المفتش شيفرون كلف بمراقبة لوبين وصديقه روجر بفندق البانى .

وعندما عاد الى منزله وجد رسالة من واطسون يقول « غادر اليوت لانج مسكنه الليلة مع رجل يرتدى قبعة

رخوة ويحمل فى يده مظلة وقد استقلا سيارة الزائر وكان يقودها سائق غيرهما . ولم يتنبه احد الى رقمها . ولم ياخذ لانج معه اية حقيبة ولم يره احد بعد ذلك . وانا فى انتظاره .

وسار هولمز الى التليفون واتصل ببواب عمارة كاستلرى واجابه هذا يقول :

ــ نعم يا سيدى . لقد القى على الشاب الذى تسال عنه بضعة اسئلة بخصوص المستر لانج . كلا يا سيدى ، انه ليس موجودا الان . لقد انصرف منذ عشرين دقيقة ، فقد جاء رجلان ومعهما سيدة وسالوا عن المستر لانج ثم صعدوا الى مسكنه . وكانت السيدة ، وهى المس كلاندون خطيبة مستر لانج ، قد سالت عنه هذا الصباح تليفونيا . ونزلوا بعد دقيقة . وقد اختبأ الشاب عندما رآهم وانصرف بعدهم

الفصل السابع عشر ــ واطسون فى عرض البحر

تبع واطسون صوفى كلاندون ولوبين وروجر بعد انصرافهم من قصر كاستلرى حتى مطعم كيتنربحى سوهو . ولم تكن هذه بالمهمة الشاقة اذ ان الاصدقاء الثلاثة استقلوا سيارة صوفى .. وكان واطسون قد توقع ان يرغمه هذا العمل على كثرة التنقل فاستعار سيارة هولمز الصغيرة واوقفها بحيث يستطيع الانطلاق بها من غير تأخير .

ولكى لا يعرفه احد وقف فى ركن الشارع عندما راى الاصدقاء الثلاثة يهبطون امام المطعم واشترى جريدة اخذ يقراها قطعا للوقت .

وفى قاعة الطعام راح الاصدقاء الثلاثة يتناولون طعامهم وهم يتشاورون فيما ينبغى عمله . وكان لوبين ومساعده روجر يشعران بشىء من القلق فقد افلتا امس من قبضة البوليس فى الوقت المناسب وينبغى ان يتوخيا الحذر بالرغم من الاكتشافات التى وقف عليها لوبين من الاوراق التى اغتصبها من مكتب ملروز . ومن ناحية اخرى كان هناك اليوت لانج وقد عول لوبين على انقاذه من مخالب هولمز .

وفى هذا الصباح ، عندما نظر لوبين من النافذة راى المفتش شيفرون يروح ويغدو امام الفندق . وقد دفعه هذا الى عدم التحدث الى اليوت تليفونيا مخافة ان يكون هناك من يتصنت الى المكالمات التليفونية فدعا روجر الى مشاركته لعبة البنج بونج فى نادى لورد . وكانت هذه هى رياضتهما المفضلة فى اوقات فراغهما . وكان المفتش شيفرون يجهل ذلك بحيث انه عندما فقد اثرهما فى احد المنعطفات عاد الى فندق البانى فى انتظار عودتهما .

اما صوفى كلاندون فكانت تعرف هويتهما هذه . فبعد ان اتصلت باليوت ذهبت الى فندق البانى . ولما لم تجدهما قصدت نادى لورد حيث انضمت اليهما

وقال لها لوبين عندما رآها : كنت على وشك التحدث الى اليوت الان .

ــ لا فائدة من ذلك . فقد اتصلت به .. اذ هغير موجود وقد رد على البواب وقال لى انه خرج ليلا ولم يعد .

فنظر اليها لوبين مفكرا ثم قال : هل تعرفين اذن اذا كان قد خرج بمفرده ؟

ــ بل خرج مع رجل نحاسى البشرة يرتدى قبعة رخوة ويمسك فى يده مظلة . وقد سالت البواب ان يصفه لعلى اعرفه ولكنى لم اتعرف عليه .

فقال لوبين وهو ينظر الى روجر نظرة ذات مغزى : ولكننا نعرفه .. اليس كذلك يا روجر ؟

فاجابه روجر : هو ملروز طبعا ؟

فصاحت صوفى فى جزع : ما معنى هذا بحق السماء ؟

ولكن لوبين لم يرد عليها ، بل سالها قائلا : اتعرفين اين يقع مصنع اليوت الجديد ؟ كلا .. لماذا ؟

ــ هل اتيت فى سيارة ؟ حسنا . سأسرد عليك كل شىء فى الطريق . احب اولا ان القى نظرة على مسكن اليوت .

ولم يجد فى المسكن اى شىء يدله على موقع المصنع

رخوة ويحمل فى يده مظلة وقد استقلا سيارة الزائر وكان يقودها سائق غيرهما . ولم يتنبه احد الى رقمها . ولم يأخذ لانج معه اية حقيبة ولم يره احد بعد ذلك . وانا فى انتظاره .

وسار هولمز الى التليفون واتصل ببواب عمارة كاستلرى واجابه هذا يقول :

ــ نعم يا سيدى . لقد القى على الشاب الذى تسال عنه بضعة اسئلة بخصوص المستر لانج . كلا يا سيدى ، انه ليس موجودا الان . لقد انصرف منذ عشرين دقيقة ، فقد جاء رجلان ومعهما سيدة وسالوا عن المستر لانج ثم صعدوا الى مسكنه . وكانت السيدة ، وهى المس كلاندون خطيبة مستر لانج ، قد سالت عنه هذا الصباح تليفونيا . ونزلوا بعد دقيقة . وقد اختبأ الشاب عندما رآهم وانصرف بعدهم

الفصل السابع عشر ــ واطسون فى عرض البحر

تبع واطسون صوفى كلاندون ولوبين وروجر بعد انصرافهم من قصر كاستلرى حتى مطعم كيتنربحى سوهو . ولم تكن هذه بالمهمة الشاقة اذ ان الاصدقاء الثلاثة استقلوا سيارة صوفى .. وكان واطسون قد توقع ان يرغمه هذا العمل على كثرة التنقل فاستعار سيارة هولمز الصغيرة واوقفها بحيث يستطيع الانطلاق بها من غير تأخير .

ولكى لا يعرفه احد وقف فى ركن الشارع عندما راى الاصدقاء الثلاثة يهبطون امام المطعم واشترى جريدة اخذ يقراها قطعا للوقت .

وفى قاعة الطعام راح الاصدقاء الثلاثة يتناولون طعامهم وهم يتشاورون فيما ينبغى عمله . وكان لوبين ومساعده روجر يشعران بشىء من القلق فقد افلتا امس من قبضة البوليس فى الوقت المناسب وينبغى ان يتوخيا الحذر بالرغم من الاكتشافات التى وقف عليها لوبين من الاوراق التى اقتصبها من مكتب ملروز . ومن ناحية اخرى كان هناك اليوت لانج وقد عول لوبين على انقاذه من مخالب هولمز .

وفى هذا الصباح ، عندما نظر لوبين من النافذة رأى المفتش شيفرون يروح ويغدو امام الفندق . وقد دفعه هذا الى عدم التحدث الى اليوت تليفونيا مخافة ان يكون هناك من يتصنت الى المكالمات التليفونية فدعا روجر الى مشاركته لعبة البنج بونج فى نادى لورد . وكانت هذه هى رياضتهما المفضلة فى اوقات فراغهما . وكان المفتش شيفرون يجهل ذلك بحيث انه عندما فقد اثرهما فى احد المنعطفات عاد الى فندق البالى فى انتظار عودتهما .

اما صوفى كلاندون فكانت تعرف هوايتهما هذه . فبعد ان اتصلت باليوت ذهبت الى فندق البالى . ولما لم تجدهما قصدت نادى لورد حيث انضمت اليهما

وقال لها لوبين عندما رآها : كنت على وشك التحدث الى اليوت الان .

ــ لا فائدة من ذلك . فقد اتصلت به .. اذ انه غير موجود وقد رد على البواب وقال لى انه خرج ليلا ولم يعد .

فنظر اليها لوبين مفكرا ثم قال : هل تعرفين اذن اذا كان قد خرج بمفرده ؟

ــ بل خرج مع رجل نحاسى البشرة يرتدى قبعة رخوة ويمسك فى يده مظلة . وقد سالت البواب ان يصفه لعلى اعرفه ولكنى لم اتعرف عليه .

فقال لوبين وهو ينظر الى روجر نظرة ذات مغزى : ولكننا نعرفه .. اليس كذلك يا روجر ؟

فاجابه روجر : هو ملروز طبعا ؟

فصاحت صوفى فى جزع : ما معنى هذا بحق السماء ؟

ولكن لوبين لم يرد عليها ، بل سالها قائلا : اتعرفين اين يقع مصنع اليوت الجديد ؟ كلا .. لماذا ؟

ــ هل اتيت فى سيارة ؟ حسنا .. سأسرد عليك كل شىء فى الطريق . احب اولا ان القى نظرة على مسكن اليوت .

ولم يجد فى المسكن اى شىء يدله على موقع المصنع

الباخرة قبل الساعة السابعة مساء على أن يمروا بالمكتب قبل ذلك لاخذ تذاكرهم .

وكان لوبين قد توقع ان يوضع فندق البانى تحت المراقبة ، ولهذا كان يحتفظ عند صديقه بيتر فان هيست بدولاب يحتوى على مجموعة من الثياب التى تناسبه هو ومساعده روجر وعلى جوازى سفرهما .

وكان واطسون قد فقد اثرهم فى احد المنعطفات فلم يتملكه اليأس .. بل عاد الى المطعم وسأل الساقى .. ولكن هذا الاخير لم يستطع أن يذكر له شيئا فيما عدا ان لوبين اتصل بمكتب كوك للرحلات تليفونيا وان مكتب كوك عاد فطلبه بعد ربع ساعة .

واسرع واطسون الى مكتب كوك .. وهناك علم أن لوبين حجز ثلاثة اماكن على الباخرة «سيلكوس» وهى باخرة صغيرة ستبحر الى أثينا فى السابعة مساء .

وكانت الساعة وقتئذ الخامسة فأسرع واطسون الى التليفون واتصل بمسكن هولمز ولكن صاحبة البيت قالت له ان هولمز خرج بعد ان قرا رسالته التى تركها له ولم يعد بعد وفى سكوتلانديارد قيل له ان هولمز جاء ولكنه لم يلبث ان انصرف مع سبنس والمفتش هويل .

صحيح ان لوبين وروجر قد احتجزوا تذكرتين الى أثينا ولكن اليس فى مقدورهما أن يغيروا وجهتهما فيما بعد ويمضيا الى حيث غرقت الباكو للحصول على الذهب ؟

واسرع واطسون الى مكتب الرحلات وابتاع بالمثل تذكرة الى أثينا على نفس الباخرة ، ثم مضى ليعد حقيبته وجواز السفر .

وفرغ البحارة من انزال مؤونة الفحم الى قاع المركب .. وكانت آلاتها لا تزال صامتة ووقف الساقى بجوار السلم المؤدى الى ظهر الباخرة ، وكان هو المخلوق الوحيد الذى تبادل معه واطسون الحديث . وقد قاده الى مقصورته وعلم

منه ان الباخرة يمكن ان تنقل تسعة من المسافرين وانه لم يحجز منها غير اماكن لاربعة ثم غادره وذهب الى مكانه .

وكان فى استطاعة واطسون وهو فى مقصورته أن يرى كل من يصعد على سطح السفينة . وراح يبتهل الى الله ان لا يكون قد ارتكب حماقة .

وفجاة ، اقبل ثلاثة رجال يضعون على رؤوسهم قبعات رخوة ويتدثرون فى معاطف ودق قلب واطسون فقد تحركت الآلات وتأهبت الباخرة للسفر ولم يقدم لوبين بعد .

وصاح الساقى يقول فجاة ردا على سؤال الربان : هاهم

ورأى واطسون ثلاثة أشخاص يتقدمهم حمال فعرفهم ورفع المعبر . ودق جرس فى غرفة الآلات وفجاة وفى شىء من الانفعال رأى واطسون ان الباخرة قد غادرت مرفأ لندن.

الفصل الثامن عشر — الهجوم

بناء على اقتراح هولمز اصدر الكولونيل سبنس اوامره تليفونيا الى مدير سجن ميدستون والى الماجور فانتج مدير سجن بولد رمور .

وقد أبدى هذا الاخير شيئا من التمنع فى بادىء الامر وقال:

— كيف هذا ؟ ابعد التأنيب العنيف الذى نالنى من اعضاء لجنة المصلحة تريدنى على ان اعود فاقوم بعمل آخر لا يجيزه القانون وقد احتفظت بمالكولم جيز فى مكان امين .

— قلت لك ذى المفتاح غير مهتم بمالكولم جيز وانه يعمل على تهريب جريجوريوس سبيروس واذا اتبعت تعليماتى فسوف نخدعه للمرة الثانية .

واستدعى الماجور فانتج رئيس الحراس وقال له : ان مستر هولمز والكولونيل سبنس يعتقدان ان ذا المفتاح سيحاول تهريب جريجوريوس سبيروس . وسوف يأخذه الآن الى لندن فى سيارة دون ان يدرى احد لانهما يريدان استجوابه . وخذ معك رجلين موثوقا بهما وانى افضل ان يكونا هارى داوكز ووبل كوتس . ودع كوتس يقود السيارة

واحرس انت وداوكز السجين .

وبعد نصف الساعة انطلقت عربة السجن وفيها جريجوريوس سبيروس وحارساه . وفي الرابعة الا ربعا بلغت ادارة سكوتلانديارد . وفي نفس الوقت جاءت عربة اخرى من ميدستون وفيها زيلن كافالاسوس . واقتيد اليونانيان الى حجرتين منعزلتين في انتظار قدوم الكولونيل سبنس وهولمز لاستجوابهما . وهكذا غلب ذو المفتاح في ميدانين .

* * *

وبقي ميدان ثالث وهو البيت المجاور للمطار .

وقد قاد هولمز اليه شيء تافه هو اصرار رفيقه في السفر على ان يجعله يظهر كالاعمى وقد استنتج من هذا ان بيت ذي المفتاح لابد ان يكون عيادة طبيب اخصائي في امراض العيون . وما وصل الى هذا الاستنتاج حتى عرف من هو ذو المفتاح .

وقد راى ان يقوم بالهجوم في هذا الميدان الثالث قبل ان يعرف ذو المفتاح ان امره قد افتضح . وكان في طريقه اليه مستقلا طائرة ولكنه لم يكن بمفرده هذه المرة بل كان يرافقه سبنس والمفتش هويل وثلاثة من رجال البوليس .

وفي الساعة الرابعة ، اي في نفس اللحظة التي وصل فيها جريجوريوس سبيروس الى ادارة سكوتلانديارد هبطت الطائرة في مطار بيلوبتز .

وكان رئيس البوليس المحلي واقفا في انتظارهم . وما كاد يرى امري التفتيش والقبض اللذين قدمهما اليه الكولونيل سبنس حتى وضع جميع رجاله تحت تصرفهم واصر على ان يشترك معهم في الرحلة .

وفي الساعة السادسة انطلقت عربتان .. واطبق هولمز عينيه وراح يحاول ان يستعيد الانفعالات والاحاسيس التي مرت به وهو في طريقه الى عيادة ذي المفتاح بعد هربه من السجن . وكان قد اصدر اوامره الى رجال البوليس الذين

يحتلون العربة الثانية بان لا يتبعوه حتى مطار العيادة الخاص كي لا يثيروا انتباه اعوان ذي المفتاح وان ينتظروا على مقربة حتى يسمعوا صفارته .

وعندما اقتربت العربة في المطار كان هولمز واقفا على سلمها متاهبا للوثوب . فراى حظيرتين على سطح كل منهما كشاف قوي وطائرة صغيرة يدفعها بعض الميكانيكيين داخل احداهما . وعندما مرت السيارة بجوار الحظيرة الاولى وثب هولمز الى الارض والتصق بالحائط بينما استمرت العربة في طريقها نحو الطائرة .

وخرج رجل من الحظيرة ونظر الى السيارة .. ورآها تقف بجانب الطائرة وركابها يهبطون . ولما راى الميكانيكيين الذين كانوا يدفعونها يرفعون ايديهم في الهواء دار على عقبيه واسرع الى الداخل وتناول سماعة التليفون . ولكن قبل ان ينطق بحرف واحد سمع خلفه صوتا هادئا يقول :

ـ انتظر يا صاحبي .

والتفت الرجل فراى نفسه يواجه مسدسا ضخما فأعاد السماعة الى مكانها وهز كتفيه في استسلام ورفع يديه . ومن الاستجواب الذي قام به هولمز اتضح ان الرجل الذي حاول ان يتحدث اليه في التليفون هو الوحيد الذي يعرف سر استعمال المطار الخاص ومع ذلك فقد وضعت القيود في ايدي الجميع زيادة في الاحتياط .

اما الطائرة التي كانوا يدفعونها فقد جاءت منذ ساعة . وكانوا يجهلون شخصية راكبها الوحيد ، ولكن صمت الرجل الذي حاول التحدث في التليفون جعل هولمز يعتقد انه كان ينوي ان يحدث ذا المفتاح نفسه . واذن فهو في العيادة .

وعندما وقفت السيارة امام العيادة هبط المفتش هويل والقومسير بولياك ودارا بالبيت كل من جهة . اما هولمز وسبنس فقد طرقا الباب بنما بقي السائق مكانه امام عجلة القيادة . وما كاد الخادم يفتح حتى احس بفوهة المسدس

بين كتفيه بينما قال له هولمز بالفرنسية :
ــ اذهب بنا الى سيدك حالا .
وكانت ردهة البيت تشبه تماما الردهة التى ادخل اليها قبلا . وارتقى ثمانى درجات واجتاز ممــــرا فى نهايته باب افضى بهما الى قاعة فرشت ارضها ببساط سميك غاصت فيه قدماه كالمرة الاولى تماما . وبلغوا بابا ضخما موصدا .
وسأل هولمز الخادم قائلا : هل سيدك هنا ؟
فاجابه الاخر : لقد كان هنا منذ لحظة .. ولكنى ارى المفتاح فى الخارج ولا ادرى .
والتفت هولمز الى الكولونيل سبنس وقال له : راقب الممر خلفك .
واومأ الكولونيل اشارة الى انه فهم . وفتح الخــادم الباب وتقدم هولمز الى الداخل .
كانت هى نفس الغرفة التى اقتيد اليها هولمز عند مجيئه اول مرة والتى التقى فيها بمدام جيز . وكانت المرأة جالسة وقد اضطجع فى مقعد آخر رجل نحيل القامة محدودب الظهر اصلع الرأس عرفه هولمز على الفور . وقال فى صوت رقيق :
ــ ها نحن نلتقى مرة اخرى يا مدام جيز . ولكنى فى هذه المرة لا احاول الادعاء بانى زوجك . لا تخشى شيئا فقد جئنا لتحريرك وللقبض على الرجل الذى لم يستطع تهــريب زوجك . نحن من رجال البوليس ولكن ليس لدينا ما يدينك فى شىء فقد تألمت بما فيه الكفاية .
اخفت المرأة وجهها فى راحتيها وراحت تنشج بالبكاء .
وتحول هولمز الى الرجل الاصلع وقال له : مستر رايموند هاى؟ كنت اعتقد انى سأجدك هنا ايضا ، فهنا كما قيل لى يأتى ذو المفتاح بعملائه لتصفية الحساب .. اليس كذلك ؟
ــ تماما .. ولكننا لم نفرغ من تصفيته بعد .. واظن اننا لم نعد بحاجة الى تصفيته الان .. ومد يديه مستسلما الى الكولونيل سبنس الذى وضع فيهما القيد .. ولكن فى هذه

اللحظة فتحت الكوة الصغيرة التى امام المكتب وظهرت منها فوهة بندقية مصوبة الى صدر هولمز . وقال رجل يضع فوق رأسه قبعة عريضة تخفى نصف وجهه الاعلى بحيث لا يظهر منه غير عينيه ، ويغطى نصف وجهه الاخر بمنديل :
ــ هل كنت تسأل عنى يا مستر هولمز ؟ القى بمسدسك قبل ان تجيب .. وانت ايضا يا كولونل سبنس .
والقى الرجلان مسدسيهما ، واجاب هولمز فى هدوء :
ــ نعم ، كنت ابحث عنك يا دكتور ليونل رينج .. فانت ذو المفتاح .

الفصل التاسع عشر ــ هولمز يتكلم

ساد الصمت لحظة . ثم عاد هولمز يقول فى هدوء :
ــ لقد خسرت الجولة يا رينج ، والبيت محاصر .
ولكن البندقية ظلت مشهورة كما هى والتزم الرجــل الصمت ، فاستطرد هولمز :
ــ لقد كشفت عن نفسك يا رينج .. ولولا ذلك لما كنا هنا الان .
فقال الرجل : ان غلطتى الوحيدة هى انك لم تمت عندما قررت ان تموت .
ــ كلا .. ان غلطتك هى انك أردت أن تقتلنى عندما علمت بانى عدت سالما من الرحلة ، فهل تعرف لماذا ؟ .. لان رجلا واحدا كان على علم بعودتى وهو الكولونل سبنس ، و لايمكن ان يكون ذو المفتاح قد عرف ذلك الا من الكولونل نفســه .. ولكن الكولونل لم يخبر احدا بعودتى سوى شخصين فقط هما مساعدى والمفتش هوبل . فمن الذى استطاع ان يقرأ البرقيتين غيرهما ؟ اعضاء مصلحة السجون طبعا ! اذن فواحد منهم هو ذو المفتاح .. !
وجاءت ادلة اخرى عززت هذا الاستنتاج ، واولها معرفة ذى المفتاح بكل صغيرة وكبيرة عن المســـاجين والحراس ، وثانيها عدم اطلاع مصلحة السجون على اقتراحى .. ومن

جهة اخرى فقد رايت فى مسكن ذى المفتاح كتبا كثيرة مشتراة من ريد بجزيرة وايت ، ومفتشو السجون كما تعرف هم الذين يذهبون الى هذه المنطقة عند زيارتهم لسجن باركهرست ..

ولكن من من الاعضاء الاربعة هو ذو المفتاح ؟ هو طبعا الذى كان غائبا ليلة الهرب . وانت وحدك كنت الغائب ، وكان تبريرك الرسمي هو انك تقوم بالتفتيش فى سجون الشمال .. وقد قمت بتحقيق خاص يا صاحبى وعلمت منه انك لم تقم باية زيارة لاى سجن فى ذلك الاسبوع ، فلماذا كذبت وأين كنت ؟ كنت هنا طبعا فى بيت ذى المفتاح .. ولكن اين هذا البيت ؟ لقد اشتبهت أولا فى بيتك بجلدفورد ولكن لم يكن بجواره اى مطار ..

وعندئذ علمت ان لك أخا هو الدكتور ستيوارت رينج اخصائى امراض العيون . وان له عيادة ببياريتز ملحق بها مطار خاص كى يستطيع زيارته واستشارته الموسرون من المرضى فى أقرب وقت . وقد تذكرت ان شريكك اصر على أن ابدو كاحد العميان فادركت السبب على الفور . وعندما لم أستطع الاتصال بك بلندن عرفت أنك موجود هنا .

وظلت البندقية مصوبة الى البوليس السرى الكبير والرجل محتفظ بالصمت .. وشعر هولمز بان عليه ان يحاول اكتساب شيء من الوقت فلعل بولياك يخف برجاله لنجدته فقال : وقد وجدت ايضا فى مكتبك عنوان اليوت لانج الخبير فى اجهزة الغوص وقد كان ذلك قلة تبصر منك يا عزيزى رينج فلولا هذه الورقة ما فكرت قط فى زيارة المستر لانج ولما القيت القبض على سيلفوس واعوانه فى بيت مدام جيز . ولما سمعت عن هالام ملروز وكيل شركات التامين ولما فكرت فى دراسة قضية اغراق السفينة الباكسو .

وسأخبرك بالنظرية التى كونتها لنفسى بشأن هذه القضية وارجو أن تستوقفنى اذا أخطأت .. لقد اتفق ملروز والاخوان

كافالاسوس فيما بينهم على استغفال شركة التأمين فبعد أن فحص المندوب صناديق الذهب ووضع اختامه عليها نقلت خلسة الى سفينة اخرى ثم اغرقوا الباكسو وطالبوا بقيمة التامين .. وقد حاول ملروز ان يؤثر على الشركة بأن تدفع وكان مستعدا لان يدفع نصيبه لانه كان يعلم انه سيستعيده اضعافا مضاعفة عند اقتسام الذهب . واذا حدث واشتبه دبنجالى خافا فى شيء ما واثار ايةمتاعب فسوف يموت .. ولكن لسوء الحظ حدث ما لم يكن فى الحسبان ، فقد اغرقت الباكسو كما هو متفق ، ولكن الباخرة الاخرى التى نقلت اليها صناديق الذهب غرقت هى الاخرى فى خليج ساندوروس وقد دهش دبنجالى خافا — ولم يكن يعرف شيئا عن الموضوع — من رفض شركة التأمين أن تدفع ومن ثم بادر الى مفاوضتها .. ورأى الاخوان كافالاسوس نفسيهما مرغمين الى الوقوف بجانبه . ولم يدر بخلدهما انه اذا اكتشف الدور الذى لعباه فسوف يلقى عليهما القبض نظرا لموت مساعد الربان جاسكل . وعليه فقدحكم على زنتل وزيلن كافالاسوس وجريجوريوس وسبيروس بالسجن فى الوقت الذى يعرفون فيه ان هناك ذهبا فى انتظارهم فى خليج ساندوروس .. واقول ان الذهب غرق فى هذه البقعة بالذات لانها أعمق بقعة فى المحيط ولانه ينبغى للغوص فيها جهاز خاص .

وكان هالام ملروز يعرف هو أيضا أين يوجد هذا الذهب اذ ان الاخوين كافالاسوس لن يفروا به لانهما كانا فى حاجة اليه .. وخشية من أن يشتبه دبنجالى خافا فى شيء قتله ملروز فى مرسيليا . وعندئذ أنذره اليونانيون الثلاثة بانه ان لم يجد وسيلة لاخراجهم من السجن فسوف يعترفون بالحقيقة .. ولما كان ملروز يريد نصيبه فقد بحث عن رجل يستطيع تهريب شركائه واهتدى اليك ولا ادرى كيف جمعت بينكما الظروف .

ومهما يكن من امر فقد وقع بينكما الاتفاق وهكذا كان

مولد ذى المفتاح .

كان زنتل كافالاسوس أول من دبرت فراره ولكنك اشفقت ان تثير اهتمام رجال البوليس الى الباسكو اذا ماهربت زيلن وجريجوريوس دفعة واحدة . فحاولت تعقيد الامر بتهريب مالكولم جيز ورايموند هاى .

ونت رجل داهية حقا يا رينج . فقد كنت تمنى نفسك بالحصول على الذهب الذى سيغوص لانج فى قاع البحر لاخراجه .. ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن .. وهكذا غلبت على أمرك فقد ارتكبت هفوات كثيرة كانت هى السبب فى ضياعك .

وكان هولمز متوتر الاعصاب ينتظر الفرصة للهجوم . ولكن حركة خافتة بجانبه اوقفته ساكنا .

وتحركت البندقية حركة خفيفة وبرقت عينا الرجل ببريق وحشى ودوت رصاصة ولكنها لم تصدر من البندقية وانما صدرت من داخل الفرفة وظهر ثقب اخذ يتسع حول المنديل الذى يخفى الوجه .

وتحول هولمز فرأى كوربن جيز ممسكة بالمسدس الذى التقطته من فوق البساط والدخان لا يزال يتصاعد منه وهى تنظر الى الطاقة بعينين مشدوهتين .

ولم ينتظر هولمز ليسألها ، بل التقط المسدس واسرع الى الغرفة الاخرى حيث تمدد الرجل جثة هامدة . وجثا هولمز بجانب القتيل وخلع قبعته والمنديل الملطخ بالدم . لم يكن الرجل هو الدكتور ليونل رينج .. لم يكن هو ذو المفتاح ! .. بل كان اخاه ، الدكتور ستيوارت رينج ، صاحب العيادة .

ونهض هولمز وهو يجرى . وفى نفس اللحظة دوت ثلاث رصاصات فى الخارج ثم رابعة تبعها دوى محرك .. وأسرع هولمز خارج البيت فالتقى ببوليان فى أعلى الدرج . وكان ممسكا بمسدس يتصاعد منه الدخان . وصاح :

ـ لقد فر منا .. رجل طويل القامة ، عريض الكتفين ،

ذو شعر قصير علاه المشيب خرج من البيت مسرعا . وقد هرب فى عربتنا بعد ان ضرب السائق .

ـ انه ذو المفتاح .. ليونل رينج . .وقد حجزنا اخوه ريثما تمكن هو من الهرب انه ذاهب الى المطار ولم تترك به غير رجل واحد من رجالنا والطائرة على اهبة الرحيل .

وامسك بذراع الفرنسى قائلا : اسرع الى التليفون .

فاسرع بوليان الى الداخل بينما نفخ هولمز فى صفارته ثم استقل العربة الثانية هو والرجلان اللذان معه .

ولكنهم وجدوا الحارس الذى تركوه ممددا بجانب الميكانيكيين الذين كانت الاصفاد لا تزال فى ايديهم ، وقد اصيبت ساقه برصاصة . بينما سمع دوى خافت فوق رءوسهم .

كان الصمت يخيم على ظهر الباخرة سيكلوس ولم يسمع غير صوت المحركات .

ودق الخادم الانجليزى الذى يقوم بدور الساقى على باب احدى المقصورات ، وكان بداخلها شاب يجلس على حافة الفراش ولم يكن قد خلع معطفه ولا قبعته بعد .. وكان يبدو قلقا واصابعه على مسدسه فى جيب معطفه .

ووضع الساقى الصحفة فوق المائدة وهو يقول : لقد احضرت لك قدحا من الكاكاو يا سيدى .

وما كاد الساقى يغادر الغرفة حتى اخرج واطسون من جيبه مسدسا ضخما راح يفحصه بعناية ودقة . كان يشعر بالانزعاج فقد قام بواجبه حتى الان كما ينبغى ولكن ماذا يفعل بعد ؟ ولا يدرى متى تصل رسالته الى هولمز ؟

وعاد الساقى ومعه ثلاثة اقداح من الكاكاو الساخن .. ودق على باب آخر يكاد يكون مواجها لمقصورة واطسون .

ودخل قائلا : اذا اردتم ان تذهبوا الى غرفة الطعام .. فقاطعه لوبين وهو يدس فى يده حلوانا : غدا يا بنى ..

وهتف الساقى مأخوذا : جنيها يا سيدى !

وقال لوبين بعد ان أغلق الباب :

ـ هذه هى السياسة كما يقولون .. فقد اتفقت مع الشاب على ان يذكر لنا كل ما يجرى فى الباخرة وان يخبرنا عن المكان الذى سجن فيه اليوت . وحالما نعرف هذا المكان سنعرف ما ينبغى عمله .. والآن لنشرب الكاكاو .

وكان لوبين لا يزال جاهلا وجود واطسون على ظهر الباخرة . ولكن غيره كان قد عرف اسمه . ففى مقصورة الربان اجتمع خمسة رجال هم هالام ملروز وربان الباخرة سيكلوس وبروتانوس ، حارس مصنع اليوت لانج ، وفريد سائق ماروز وزنتل كافالاسوس : الربان السابق للباخرة الباكسو . وكان الربان الذى تكلم قائلا :

ـ لم تكن لي حيلة فى ذلك وما كان فى وسعى ان افعل شيئا .. ففى آخر دقيقة أخطرتنى الشركة انها صرفت تذاكر لاربعة ركاب ولم أكن أستطيع الرحيل بدونهم والا فقدت وظيفتى .. هو سوء الحظ ..

فانثنى ملروز اليه كما لو كان يريد ان يصفعه وصاح :

ـ سوء الحظ .. بل قل انها كارثة .. الا تدرى من هو واطسون هذا ؟ هو مساعد شرلوك هولمز .. وقد كنا نحسب أن هولمز مات وان الطريق امامنا حرا . أما الثلاثة الاخرون فهم الانسة كلاندون خطيبة اليوت لانج وارسين لوبين اللص المشهور وصديقه روجر كونواى .. اتقول ان واطسون جاء بمفرده وان الثلاثة الاخرين جاءوا بعده ؟ ـ نعم .

ـ اننى افهم ما دفع لوبين وصديقيه الى المجىء فلا ريب انهم علموا ان لانج موجود على ظهر الباخرة وانهم ينوون انقاذه ولكن واطسون ؟ .

ـ لعله هنا يراقب لوبين وروجر فان هولمز يعرف لوبين ويعرف سوابقه .. نعم ، لا ريب فى ذلك .. ان واطسون يراقب الاصدقاء الثلاثة بلا ريب .

فقاطعه زنتل كافالاسوس فى وحشية :

ـ ان البحارة مخلصون لنا ونحن فى البحر ونستطيع أن نفعل ما نشاء . وها نحن فى طريقنا الى ساندروس حيث ينبغى ان نلتقى بالزعيم ولدينا جهاز الغوص والغواص والذهب فى انتظارنا . ولم يعد هناك اقل امل فى تهريب اخى زيلن وجريموريوس سبيروس فينبغى ان نعجل بالعمل .

ـ انسيت انه ينبغى أن نمر على ميناء طنجه لنتزود بحمولتنا من الفحم ؟ .. وانه اذا صعد مندوب الشركة على ظهر الباخرة ولم ير المسافرين الاربعة فسيمطرنا بالاسئلة ؟ لننتظر حتى تقترب من ساندوروس قبل أن نقدم على شيء . اريد أن اعلم .. هل يعرف هولمز ان مساعده هنا ؟

الفصل العشرون ـ على ظهر الباخرة سيكلوس

تظاهر الدكتور واطسون بالمرض اكثر من خمسة ايام حتى يتمكن من مراقبة لوبين وروجر . وكان الساقى يحضر اليه الطعام فى غرفته فاذا جن الليل خـرج الى ظهر السفينة وكان يرى من وقت لاخر صوفى كلاندون وصديقيها من بعيد وهم منهمكون فى الحديث .

سوف تصل السفينة غدا الى طنجة ، وهى المرحلة الاولى والاخيرة قبل أثينا فماذا يفعل اذا لم يجد شرلوك فى انتظاره واذا حاول لوبين وروجر الافلات؟ لقد اقسم الايتركهما يغيبان عن عينه وسوف يكون لهما اتبع من ظلهما .

ونظر من المقصورة الى شواطىء البرتغال وهى تمر امام عينيه . كان دوى الالات قد اصابه بصداع شديد .

وعندما فتح باب مقصورته لم يكن بالممر أحد . واذ وصل امام مقصورة لوبين وقف فجأة والصق اذنه بالباب .

وكان فريد ، سائق ملروز يراقبه خلسة .

ثم اسرع السائق فاخبر سيده الذى صاح قائلا :

ـ كنت على حق .. ان واطسون يراقب لوبين وروجر ولا يدرى من مآربنا شيئا ، ومع ذلك فانى أود أن أعرف اذا كان هولمز يعرف ان مساعده موجود هنا ام لا .. واود أن

اعرف ذلك قبل أن نصل الى طنجة .

وفي أثناء ذلك كان واطسون يسير جيئة وذهابا على ظهر الباخرة ، وكان البحر هادئا والهواء رطبا .. وفجأة رنت في الجو ضحكة امرأة فتوقف على الفور واختبأ بين قاربين من قوارب النجاة .. ورأى على سطح الباخرة السفلى صوفي كلاندون تسير جيئة وذهابا متأبطة ذراعي لوبين وروجر .

وراح واطسون يراقبهم في اهتمام كبير فلم يسمع صوت الاقدام العارية خلفه .. وفجأة احاطت بعنقه ذراع قوية واختنقت في حلقه الصيحة التي اراد ان يطلقها ، وتشبث بالحاجز بالغريزة .

وسمع لوبين صوت المعركة فرفع راسه ، وحول ضوء مصباحه الكهربائي الى السطح فرأى وجه واطسون يختفي في نفس اللحظة التي جذبه فيها غريمه .

واطفأ لوبين مصباحه على الفور وبقي لا يتحرك هنيهة ثم قال في هدوء : لقد كان وجـــه واطسون .. ولا ادري ماذا يفعل في هذه السفينة ولا كيف جاء .

وفكر هنيهة ثم قال : هل انتما مسلحان ؟ ولما اوما كل منهما بالايجاب ، اردف يقول :

ـ ابقيا هنا .. ولا تقدما على اي شيء الا اذا هوجمتما ، وفي هذه الحالة اطلقا الرصاص واسرعا الى غــرفة الربان وامنعاه من تغيير وجهة الباخرة ولا تهتما بي .

وهبط وهو يجري بحثا عن الساقي ، وعندما وجـده بادره قائلا :

ـ تود .. لقد اصبحنا صديقين منذ اربعة أيام .. !

ـ نعم يا سيدي .

ـ وقد قلت لك اني مشتبه في اصحاب هذه الباخرة وانهم يحتفظون بصديق لي اسمه مستر لانج اسيرا لديهم ، وطلبت منك أن تبحث عن مكانه في الباخرة .

ـ نعم يا سيدي ، وقد وجدته صباح اليوم ، وكنت ازمع

ان اقدم تقريري اليك مع اقداح الكاكاو .

فضغط لوبين على يد الشاب وقال له :

ـ تود .. سوف تحدث على هذه الباخرة حوادث جسام بعد لحظة ، وان رجال هذه الباخرة مجرمون شديدو الخطر فاذا انت انضممت الينا فسامنحك مكافأة كبيرة ، ولكن ينبغي ان تستقر الان على رأي .

ـ انني اكره اليونانيين يا مستر لوبين .وانا معك .

ـ هل معك مسدس ؟

ـ ان المرء في مثل هذه المركب ، وبين مثل هذه الطغمة من الاشرار ينبغي ان يتوخى الحذر .

ـ اذن تعال معي . اذهب بي الى ..

الغرفة المسجون فيها مستر لانج ؟ ولكنهم وضعوا ببابها يا سيدي قفلا متينا خاصا .

فابتسم لوبين واخذ معه بضع آلات دقيقة .

ودارا بعنبر الماكينات . واضاء لوبين مصباحه . وبلغا بابا مكتوبا عليه : « مخزن رقم ١ » فتح فجأة وظهر منه بروتانوس وهو يصيح : من هنا ؟ فأجابه لوبين في هدوء : انا .

واهوى بقبضة مسدسه على رأســه قبل ان يستطيع الصياح . ووقع بروتانوس لا حراك به .

وحول لوبين اشعة مصباحه داخل الغرفة . ولم يلبث ان وقع الضوء على وجه اليوت فقال له : اهذا انت يا اليوت .. انا لوبين .

ـ لوبين .. يا الهي . .اذن فقد ظفروا بك انت ايضـــا ووقعت في الشرك الذي نصبوه لك ببركلي ستريت .. هي غلطتي . فقد قال لي ملروز ..

وكان لوبين قد استمر يفحص ارجاء الغرفة . وكانت قذرة مشوشة .. وقال :

ـ ان قصرك هذا ليس جميلا يا اليوت وانا لم احضر لمشاركتك اياه . نحن جميعا موجودون في الباخرة . صوفي

وروجر . فهتف لانج وقد اتسعت حدقتاه : صوفى هنا ؟

فأخذ لوبين يده ودس فيها مسدسا وقال مخاطبا الساقى : تود .. راقب الباب جيدا ولاتدع احد يزعجنا .

ثم تحول الى صديقه وقال له :

— والان اسرع .. اننى اريد الحقيقة . اية حماقة ارتكبت فجعلت هولمز يجرى وراءك ؟

— هو عمى .. فقد تمكنت من الدخول الى مكتبه وزورت شيكا باسمه بثلاثة آلاف جنيه وسحبت قيمته من البنك .. وهو لا يراجع دفتر شيكاته قط ولكنه يراجع حساباته آخر السنة .. وقد ظننت انى سوف استطيع دفع هذا المبلغ لحسابه قبل نهاية السنة حتى يكون الرصيد متعادلا . ولكنى لم استطع الحصول عليه . وانت تعرف عمى يا لوبين .. انه سوف يرفع الامر الى القضاء .

فقال لوبين فى غيظ : ما اغباك وما احمقك ! اما كان فى وسعك ن تذكر لى ذلك من قبل . سابرق الى بيتر فان هيست ليدفع للبنك هذا المبلغ باسمى لحساب عمك . وبهذا نسوى هذه المسألة ، ولكن هناك شيئا آخر اكثر اهمية ، فانه اذا استطاع هولمز أن يثبت انك انضممت الى عصابة ذى المفتاح وانك لست ضحية .. ان مساعده واطسون على ظهر الباخرة وقد أسرته عصابة ملروز وسوف نرغم هولمز على التزام الحياد اذا نحن انقذنا مساعده واستولينا على الباخرة .

وفى غرفة الربان كان لاهام ملروز يحدق بواطسون الذى امسكه فريد السائق وزنتل كافالاسوس من ذراعيه .

وقال هالام ملروز : ان الامر بسيط يا صديقى العزيز ، وكل ما ابتغيه هو أن تخبرنى اذا كان هولمز يعلم انك موجود على ظهر الباخرة ام لا .. ؟ — طبعا يعلم .

— آه .. آه .. اذن فهولمز يعلم انك هنا .. واذن فسوف يكون فى انتظارنا بميناء طنجة عندما نصل اليها ؟

— طبعا ، سوف يكون هناك بكل تاكيد .

فامسكه كافالاسوس وصاح : انت تكذب .

ولكن واطسون لم يعره التفاتا وقال : انت وشانك .. اذا كنت تعرف ذلك فلماذا تسالنى ؟

وهاج كافالاسوس ولطم واطسون على وجهه لطمة شديدة القت به عند باب المقصورة ، وصاح : انت تكذب .. ان هولمز لا يدرى اين انت .. انه يجهل انك موجود على ظهر هذه الباخرة ، ولن يكون فى طنجة غدا .. قل الحقيقة والا ..

ورفع يده ليلطمه ثانية ، فصاح واطسون :

— حسنا .. ساقول كل شىء .. نعم ، انك اصبت فى تخمينك .. ان هولمز لا يعرف اين انا ولم يسمع ابدا باسم هذه المركب ولن يكون فى طنجة غدا ..

وتحول كافالاسوس الى ملروز وعيناه تلمعان ببريق الانتصار ، ولكن هذا الاخير لم يرفع عينيه عن واطسون ، وهز كتفيه اخيرا وقال :

— لقد افلحت فى تمثيلك .. لقد ادركت اننا كنا ننتظر منك ان تكذب فقلت لنا الحقيقة ، وعندما هددناك كذبت .

وانثنى الى كافالاسوس وخاطبه قائلا : الم تفهم ؟ .. انه لا يخشاك . ان اعترافه الاول هو الحقيقة فهو يريدنا على ان نذهب الى طنجة لانه واثق ان هولمز سيكون فى انتظارنا

وتناول ملروز سماعة التليفون واتصل بالربان وقال له : اهذا انت ايها الربان ؟ .. غير وجهة السفينة فلن نمر بطنجة . سنذهب راسا الى لشبونة . وهناك نفترق .

وكان ينظر الى واطسون فرآه قد تغيرت سحنته . وكان هذا كافيا لتاييد شكوكه وابتسم ابتسامة الارتياح وقال :

— سنذهب اذن الى لشبونة يا صاحبى . وهناك نفترق ويستقل كل منا طائرة تحمله الى مكان الاجتماع . واذا احتاج الامر فسوف نلقى فى البحر بعض المسافرين .

ولم يلحظ احد ممن فى المقصورة ان الاوامر التى اصدرت الى الربان لم تنفذ وأن الباخرة ما زالت تسير فى طريقها

ودفع كافالاسوس واطسون امامه نحو الباب ، فرفع فريد المزلاج . وما كاد يفعل حتى دفع الباب الى الداخل ففقد توازنه واصطدم بكافالاسوس ووقع الاثنان على الارض.

واقتحم لوبين الغرفة شاهرا مسدسه قائلا : ارفع يديك

وكان اليونانى قد نهض فرفع يديه .. ولكنه اندفع نحو لوبين فى نفس الوقت وطوقه بذراعيه ووقع على الارض معه .

وانتهز ملروز الفرصة فأخرج مسدسه . **ولكن واطسون** كان أسرع منه فوثب نحوه واطبق على معصمه وراح يركله بقدمه حتى اوقعه .

وفى اللحظة التالية اصابته ضربة على عنقه افقدته الرشد وتحول فريد السائق الى لوبين ، وكان قد تغلب على غريمه ونهض .. ومن غير أن يترك له فرصة ليهاجمه جذبه من ساقيه واوقعه على الارض .

ودوت فى هذه اللحظة ثلاث طلقات ، الاولى من مسدس ملروز ، والثانيتان من الخارج ، وترنح ملروز وسقط يئن .

وظهر روجر بالباب وهو يقول : كيف الحال ؟ . ان صوفى فى غرفة القيادة ترغم الربان على الاحتفاظ بخط السير الى طنجة . واليوت وتود فى الخارج يهددان البحارة بمسدسيهما .

فقال لوبين : تعال ساعدنى فلا يزال امامنا عمل كثير قبل ان نبلغ طنجة اذا كنا نريد ان نثير دهشة هولمز .

الفصل الحادى والعشرون ـ الذهب

بلغت الباخرة سيكلوس ميناء طنجة قبل الميعاد المحدد لها . ومع ذلك فما كادت تلقى المرساة حتى وقفت بجانبها سفينة حربية سريعة تقل هولمز والمفتش هويل وستة من رجال البوليس الدولى ورجلا طويل القامة معقوف الانف ذا شعر قصير يعلوه الشيب وضعت فى يديه الاصفاد **.. وكان هذا الاخير هو الدكتور ليونل رينج . وهكذا فقد ذو المفتاح** الجولة الاخيرة .

فعندما بلغت هولمز رسالة واطسون التى يقول فيها انه استقل الباخرة سيكلوس ليتبع لوبين وروجر لم يكن فى حاجة الى كثير من الذكاء ليدرك ان الباخرة المذكورة مسافرة الى اثينا وان لوبين وروجر ابحرا عليها لان هالام ملروز واليوت لانج موجودان بها . وانه اذا كان ملروز موجودا بالباخرة فهناك امل كبير فى ان يلحق الدكتور ليونل رينج به فى طنجة ، وهو اول مرفأ ستقف به الباخرة .

واستقل هولمز الطائرة على الفور برفقة المفتش هويل .

وفى طنجة قام بوليس المنطقة الدولية بالتفتيش فى فنادق المدينة فعثروا على الدكتور رينج متنكرا ومعه اوراق شخصية مزورة . وقد استسلم لهم من غير مقاومة ولم يبق عليهم بعد ذلك الا انتظار قدوم الباخرة .

وكانت تدور برأس هولمز فكرتان أولاهما هل مساعده واطسون لا يزال سالما ، والثانية الم يعرض لوبين نفسه بمافيه الكفاية ليقع أخيرا تحت طائلة القانون بحيث يتمكن من القبض عليه ؟ ولكن عندما هبط هولمز الى الباخرة ادرك أنه اذا كانت أمنيته الاولى قد تحققت فان الثانية لم تتحقق .

فقد رأى على سطح السفينة بحارة زائغى البصر هالعى الافئدة بينما وقف لوبين امام عجلة القيادة وفى يده مسدس وبجواره واطسون معصوب اليد ولكنه مشرق الاسارير . بينما وقفت على يسار لوبين صوفى كلاندون مبتسمة وقد تركت شعرها للنسيم يداعبه . وخلف هؤلاء الثلاثة وقف روجر ممسكا بمسدسه وعلى شفتيه ابتسامته الساخرة المعهودة وبجانبه اليوت لانج .

وبدا عند اقدامهم ثلاثة رجال موثقين يخيل لمن يراهم أنهم عائدون من الحرب اذ كانت وجوههم وايديهم مغطاة بالضمادات .

وخلع هولمز قبعته وهز رأسه . وضحكت عيناه عندما تقابلتا بعينى لوبين وقال يسأله:

ـ اهذا الذى عند قدميك هالام ملروز ؟
ـ نعم . اما هذا فهو زنتل كافالاسوس وقد كان من سوء حظهما ان اختطفا صديق المستر اليوت لانه ليستخرج لهم كمية من الذهب من مكان ما فى قاع البحر . ولكى انقذ اليوت اضطررت الى الاستيلاء على الباخرة .
واردف واطسون قائلا : وهو فوق ذلك قد انقذنى من موقف حرج ، ولولاه لكنت الان طعاما سائغا للاسماك .
نظر هولمز الى الرجلين واخيرا قال فى صوت جاف وبلهجة ذات مغزى :
ـ لك تهنئتى يا لوبين .
ـ يسرنى اننى استطعت ان اؤدى لك خدمة يا هولمز .. وان اتمكن من انقاذ واطسون فهو رجل ظريف .. ولكن .. من هذا الرجل الذى ارى الاصفاد فى يديه ؟
ـ هو الدكتور ليونل رينج .. المعروف بذى المفتاح !
فارتسمت الدهشة على وجه لوبين ولكنه استعاد هدوءه على الفور وقال :
ـ لك تهنئتى يا هولمز .
ومع ذلك فقد بدت فى عينى كل من الرجلين نظـرة التحدى .
فكان هولمز يفكر فى الذهب الذى سيستخرج من قاع البحـر لحساب الحكومة بينما كان لوبين يفكر فى العشرة الالاف جنيه التى حصـل عليها فى مسكن كورين جيز وفى الثلاثة الاف التى وجدها فى خزانة الباخرة .
ولكن لم يشر اى الرجلين الى افكاره ..
اما صوفى فقد تأبطت ذراع اليوت ، ونسى الشاب هولمز ولوبين والذهب وطنجة وغرق فى حلم لذيذ وهو يتامل شعر خطيبته الذهبى .

« تمت »